العنوان:	من الوسائل اللغوية للرعاية على الفاصلة في القرآن الكريم: دراسة نحوية دلالية
المصدر:	مجلة كلية دار العلوم
الناشر:	جامعة القاهرة - كلية دار العلوم
المؤلف الرئيسي:	زيد، فضل يوسف يوسف
المجلد/العدد:	ع88
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الشهر:	فبراير
الصفحات:	191 - 252
رقم MD:	800415
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	اللغة العربية، الوسائل اللغوية للرعاية، لغة القرآن الكريم، الدلالات اللغوية، إعجاز القرآن، الفاصلة في القرآن الكريم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/800415

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

زيد، فضل يوسف يوسف. (2016). من الوسائل اللغوية للرعاية على الفاصلة في القرآن الكريم: دراسة نحوية دلالية.مجلة كلية دار العلوم، ع88، 191 - 252. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/800415

إسلوب MLA

زيد، فضل يوسف يوسف. "من الوسائل اللغوية للرعاية على الفاصلة في القرآن الكريم: دراسة نحوية دلالية."مجلة كلية دار العلومع88 (2016): 191 - 252. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/800415

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

(من الوسائل اللغوية للرعاية على الفاصلة في القرآن الكريم)

دراسة نحوية دلالية

د. فضل يوسف يوسف زيد (*)

مقدمة :

لم يعد ثَمّةَ شكٌّ في أن علم النحو – وهو من الأصول الفكرية للحضارة العربية – قد بات يكتسب أهميته وبقاءَه من ملابسة النصوص الأدبية وتحليلها؛ فتحليلُ النصوص واستنطاقُها واستخراجُ مكنوناتِها والوقوفُ على أسرارها هو الهدف من دراسة علم النحو، أو ينبغي أن يكون الأمر كذلك ؛ لأن هذا هو ما يمدُّ النحو العربي بالبقاء مادام مرتبطا بالنص، فهناك دائما تفاعلٌ متبادل بينهما، ولا أحسبني مبالغا إذا قلت : إن عزل النحو العربي عن النصوص، وعدم ملابسته لها ، يذهب بقيمته ومائه ورونقه، والاكتفاء بالنحو وحسب دون ربطه بالنصوص وتحليلها يجعل النحو كأنما يتنفس من رئة واحدة ، أو يترنح على قدم واحدة.

محاولة البحث والتفتيش في النصوص الأدبية في ضوء النحو هي التي تمنحه فاعليته وبقاءه وامتداده وماءه ورونقه، وعلينا – نحن الباحثين – مسؤولية الارتباط بتراث أمتنا ، ومحاولة النفاذ إلى أصول هذا التراث وجذوره، وتحليل العناصر اللغوية المكونة لنصوصه، واستنتاج ما يكتنفها من دلالات ورموز وإشارات في أناة وتريث ومراجعة وتدقيق.

(*) أستاذ مساعد بكلية دار العلوم . جامعة القاهرة . قسم النحو والصرف والعروض .

وقد شغلت قضية الفاصلة في كتاب الله العزيز الدارسين قديما وحديثا بعدّها ملمحا بارزا من ملامح نظام القرآن الصوتي المحكم.وكنت على أن أدع هذا الموضوع لولا ولع شديد بالبحث في هذا النص المعجز الذي حيَّر الألباب ، ولولا رغبة ملحة في الوقوف على بعض أسراره وعجائبه التي لا تنقضي ؛ إذ لا يزال القرآن – وسيظل – مطويا على أسرار إعجازه وبلاغة تراكيبه،وقد تحدَّى الله به العرب أن يأتوا بسورة واحدة من سوره فعجزوا، وأنّى لهم ذلك ومَنْ لهم به ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [1] يقول الأستاذ الرافعي :(ومما انفرد به القرآن وباين سائر الكلام ، أنه لا يخلق على كثرة الرد وطول التكرار، ولا تمل منه الإعادة، وكلما أخذت فيه على وجه الصحيح فلم تخل بأدائه، رأيته غضا طريا،وجديدا مونقا ، وصادفت من نفسك له نشاطا مستأنفا وحسا موفورا)[2] وقد كان لي سابق اهتمام بهذا الموضوع في بحث سابق في القرآن الكريم تحت عنوان : (من العلاقات النصية في القرآن الكريم) وكانت الفاصلة من هذه العلاقات التي تسهم في ترابط النص القرآني وتماسكه كأحسن ما يكون التماسك، وقد حبّب إليّ ذلك استكمالَ الحديث عنها في هذا البحث ، ثم حبٌّ لهذا النوع من البحث الذي يربط بين النحو والنص ، في محاولة لفهم بعض أسراره ومعانيه، وقد حاولت أن أهْديَ هدْيَ سالف نحاتنا ، وأن أحَذْوَ حَذْوَهم ، وقد كان لهم اهتمام بربط العلوم العربية بالنصوص الأدبية، وكانوا يتفقدون التراكيب تفقدا واعيا ، ويحللون نظمها وعلاقاتها وروابطها، واستخراج

---

(1) الإسراء : ٨٨ .

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص ١٥٠(دار الكتاب العربي – بيروت ٢٠٠٥م).

المعاني الدقيقة ، والإشارات اللطيفة، مما يدعو إلى الإعجاب والفخر بهؤلاء العلماء. كان ذلك مما دفعني إلى الخوض في هذا الموضوع.

إن أسلوب القرآن يقوم على نظام من التماسك الصوتي المحكم في جمله وتراكيبه ومفرداته ، تمثل الفاصلة ملمحا بارزا من هذا النظام الصوتي ؛ ففاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر، وقافية البيت في النظم كما يقول العلامة الزركشي[1] .

وإذا كانت القافية في الشعر تساهم بصورة واضحة في تحقيق التماسك النصي للقصيدة من خلال ترددها في جميع أبياتها ترددا مطردا، فإن الفاصلة تمثل وسيلة مهمة من وسائل تحقيق التماسك الصوتي في القرآن الكريم.

على أن الفاصلة ملمح أسلوبي واضح يتميز به النص القرآني عن غيره من ألوان الكلام الأخرى شعرا أو نثرا(فهي تختلف عن القافية في الشعر في أنها ليست حرفا متحدا، ولكنها إيقاع متشابه، مثل : بصير، حكيم، مبين، مريب) [2]، وتختلف عن السجع في النثرفي أن السجع يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه، أما الفواصل فتتبع المعنى ، ولا تكون مقصودة في نفسها ؛ ولذلك يقول الرماني : (الفواصل حروف متشاكلة توجب حسن إفهام المعاني. والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها. وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة)[3] .

تقوم الفاصلة بدور دلالي وإيقاعي حيث تسهم بشكل ملحوظ في التشكيل الإيقاعي لآيات القرآن الكريم، وقد أشار الزركشي إلى ذلك بقوله:(وتقع الفاصلة

---

(1) البرهان في علوم القرآن للزركشي ج١ ص٥٢ (المكتبة العصرية – بيروت ٢٠٠٦م).

(2) في ظلال القرآن لسيد قطب مج ٢ ص ١٩٣ (دار الشروق – القاهرة – ط ١٣ ١٩٨٧م).

(3) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٩٧ (دار المعارف – القاهرة ط ٢).

عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام.)[1] وتنتهي معظم فواصل القرآن بحرف النون أو الميم مسبوقا بصوت ممدود هو الواو أو الياء ردفا حيث تراوح بينهما، وهذا المد يضفي قيمة موسيقية تهيئ للوقوف والسكوت ، وتمكن من الترنم والتطويح ومد الصوت، وهو ما يحدث جرسا موسيقيا ترتاح له النفس، وتطرب به الأذن، يقول الأستاذ الرافعي: (وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صورة تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، ونراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها؛ أو بالمد، وهو كذلك طبيعي في القرآن ..) [2] ويقول : (فلما قرئ عليهم – يعني العرب – القرآن ، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ألحانا لغوية رائعة؛ كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها)[3] ويعلق على ذلك في الهامش بقوله:(كل الذين يدركون أسرار الموسيقى وفلسفتها النفسية، لا يرون في الفن العربي بجملته شيئا يعدل هذا التناسب الذي هو طبيعي في كلمات القرآن وأصوات حروفها ، وما منهم من يستطيع أن يغتمز في ذلك حرفا واحدا ، ويعلو القرآن على الموسيقى أنه مع هذه الخاصة العجيبة ليس من الموسيقى)[4]، وقد آثرت أن أنقل كلام الرافعي هنا – على طوله – ؛لأنه بسبيل مما نحن فيه ، وهو كلام حقيق أن يكتب بماء التبر لا بالحبر كما ترى.

---

(1) البرهان في علوم القرآن ج١ ص ٥٢ .

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ١٥٠.

(3) السابق نفسه ص ١٤٨ .

(4) السابق هامش ص ١٤٨ .

ويقول ابن جني مشيرا إلى قيمة حروف المد واللين :(ولذلك استعملن في الأرداف والوصل والتأسيس والخروج، وفيهن يجري الصوت للغناء والحداء والترنيم والتطويح)[1] ومن أجل المحافظة على هذا التنغيم الصوتي الذي يحفظ للقرآن تفرده وإعجازه، لجأ الأسلوب القرآني إلى بعض الوسائل اللغوية كالحذف والتقديم والتأخير، والزيادة، ووضع الظاهر موضع المضمر، والتعويض بإحلال كلمة مكان أخرى أو صيغة مكان أخرى وغيرها من الوسائل اللغوية من أجل المحافظة على إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل، وفي ذلك يقول الزركشي : (واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدا ، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام ، وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع ..)[2] .

ويهدف هذا البحث إلى دراسة الوسائل اللغوية التي لجأ إليها القرآن للرعاية على الفاصلة حتى يتحقق التوافق الصوتي الخاص بالقرآن الكريم مع الوقوف على الأغراض الدلالية التي تستفاد من استخدام تلك الوسائل ؛ لأن القرآن الكريم لم يعمد إلى التصرف في نظم الكلام من أجل مراعاة التناسب بين الفواصل وحسب، بل يبدو وراء كل استخدام لغوي سرٌّ خاص وغرض دلالي يتعلق به، وهذا ما دفع الزمخشري إلى أن يقول : (لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها، إلا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه، فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤداه ، فليس من قبيل البلاغة)[3] .

---

(1) الخصائص لابن جني ج١ ص ٢٣٣ (مطبعة الكتب المصرية ١٩٥٢م).

(2) البرهان ج١ ص ٥٧ –٥٨ .

(3) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص١٠٥ (دار المعرفة – بيروت).

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ،ألممت في المقدمة إلماما سريعا بالحديث عن أهمية الفاصلة ودورها في تحقيق التماسك الصوتي في النص القرآني، وتحدثت في المبحث الأول عن الحذف والزيادة في نهاية الآيات وكيف تسهم هذه الوسيلة اللغوية في تحقيق التماسك الصوتي، وما يكتنف ذلك من أغراض دلالية، كما تناولت أنماط الحذف التي تقع في الفواصل ، ومنها حذف المفعول، وحذف النعت ، وحذف متعلق اسم التفضيل، وغيرها، وفي المبحث الثاني تحدثت عن التقديم والتأخير وأنماطه ودوره الأسلوبي والدلالي، وفي المبحث الثالث تحدثت عن التعويض في الفواصل وسردت كثيرا من أنماطه ، كما تحدثت في المبحث الرابع عن الحمل على المعنى وبعض أنماطه التي تقع في الفواصل، وما يترتب على ذلك من تحقيق أغراض أسلوبية ودلالية، وفي الخاتمة أهم ما توصل إليه البحث من نتائج .

**

المبحث الأول

الحذف والزيادة في الفواصل

أولا : الحذف

اعتمد الأسلوب القرآني على ظاهرة الحذف للرعاية على الفاصلة بصورة كبيرة، فقد لوحظ كثرة وقوعه في رؤوس الآيات ، للمحافظة على توافق الفواصل، على أن الأمر ليس كيفما اتفق، بل ثمة أغراضٌ دلاليةٌ اقتضت هذا الحذف إلى جانب الرَّعْي على الفاصلة، ومن أنماط الحذف في الفاصلة :

حذف المفعول : وهو من أكثر أنماط الحذف وقوعا في الفواصل، وينهض المفعول إحداهما : إيقاعية صوتية حيث يعمل الحذف غالبا على إحداث التوافق الصوتي من خلال توافق الفواصل، والأخرى : دلالية تكون وراء حذف المفعول؛ فكثيرا ما يكون وراء الحذف أغراض دلالية تستفاد من السياق، وقد أشار إلى ذلك عبد القاهر الجُرجاني بقوله : (واللطائف كأنها فيه أكثر، ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر) [1] ففي قوله تعالى : ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى. وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا . وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى . مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى. وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى. وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى**﴾[2] حذف مفعول الأفعال (أبكى، أحيا ، أقنى)، وقد عمل ذلك على توافق الفواصل المنتهية بالألف المقصورة، وفي ذكر المفعول نقض لهذا المطلب الصوتي المراد، وإلى جانب ذلك فإن في عدم ذكر مفاعيل الأفعال السابقة غرضا دلاليا، وهو إرادة توفير العناية على إثبات الفعل للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى دون

---

(1) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ١٥٣ (مهرجان القراءة للجميع – القاهرة٢٠٠٠م).

(2) النجم : الآيات من ٤٣ – ٤٨ .

قصد أو إرادة إلى المفعول، أي إثبات الإضحاك والإبكاء والإماتة والإحياء والإغناء والإقناء لله سبحانه وتعالى من غير تعرض لذكر مفعول معين وتشوف إليه يقول عبد القاهر الجرجاني : (المعنى هو الذي منه الإحياء والإماتة والإغناء والإقناء . وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء، وأن تخبر بأن من شأنه أن يكون منه ، أو لا يكون إلا منه ،فإن الفعل لا يعدى هناك؛ لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى)[1] وقد أشار النحاة إلى هذا النوع من حذف المفعول الذي يكون في حكم المتناسَى أو المُمَات، ولذلك يقول ابن يعيش: (اعلم أن المفعول لما كان فضلة تستقل الجملة دونه وينعقد الكلام من الفعل والفاعل بلا مفعول جاز حذفه وسقوطه وإن كان الفعل يقتضيه، وحذفه على ضربين أحدهما أن يحذف وهو مراد ملحوظ فيكون سقوطه لضرب من التخفيف وهو في حكم المنطوق به، والثاني أن تحذفه معرضا عنه البتة وذلك أن يكون الغرض الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل من غير تعرض لمن وقع به الفعل فيصير من قبيل الأفعال اللازمة نحو ظرف وشرق وقام وقعد .)[2] ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى**﴾ [3] فقد حذف مفعول الفعل (اتقى) حتى تتوافق الفواصل المنتهية بالألف المقصورة ، ولو ذكر المفعول لاختلت الفاصلة ، كما أن الغرض هو الفعل لا المفعول ، فهو لم يرد شيئا وقع عليه فعل التقوى ، وإنما أراد وقوع التقوى فقط، فالمفعول ليس مقصودا أصلا. لم يذكر المفعول لأنه قيد ينتفي معه معنى العموم ، المراد هنا توفير العناية على إثبات الفعل فقط دون التباسه بمفعول معين، وحذف المفعول؛

---

(1) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ١٥٥ .

(2) شرح المفصل لابن يعيش ج٢ص ٣٩-٤٠ (عالم الكتب – بيروت)، وانظر كذلك البرهان للزركشي ج٣ ص ١١٢ .

(3) الليل : ٥ .

لأن المقصود الثناء على المتَّقي دون تعرض للمتَّقَى سواء ما نهى الله عنه أو البخل أو الله سبحانه وتعالى كما قال المفسرون . [1] ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى . وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [2] حيث حذف مفعول الأفعال (قلى، آوى، هدى، أغنى) رعيا على الفاصلة ، ولو ذكر المفعول فقال : ما قلاك ، آواك، هداك ، أغناك) لما توافقت الفواصل ، يقول الفراء في تعليقه على هذه الآية : "ما ودعك " يا محمد ، " وما قلى " يريد : وما قلاك، فألقيت الكاف، كما تقول : قد أعطيتك وأحسنت ومعناه : أحسنت إليك ، فتكتفي بالكاف الأولى من إعادة الأخرى ، ولأن رؤوس الآيات بالياء ، فاجتمع ذلك فيه ... وقوله عز وجل: " فأغنى " و"فآوى" يراد به : (فأغناك) و(فآواك) فجرى على طرح الكاف لمشاكلة رؤوس الآيات .ولأن المعنى معروف)[3] ووراء حذف المفعول في قوله :(وما قلى) إلى جانب الغرض الصوتي السابق غرض دلالي آخر أشار إليه الألوسي بقوله : (وحذف المفعول لئلا يواجه عليه الصلاة والسلام بنسبة القلى وإن كانت في كلام منفي لطفا به ﷺ وشفقة عليه عليه الصلاة والسلام، أو لنفي صدوره عنه عز وجل بالنسبة إليه ﷺ ولأحد من أصحابه ومن أحبه ﷺإلى يوم القيامة، أو للاستغناء عنه بذكره من قبل مع أن فيه مراعاة

---

(1) راجع في تفسير هذه الآية تفسير البحر المحيط ج٨ ص ٦٨٠(دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ ٢٠٠٣م) وروح المعاني للألوسي مج ١٥ج ٣٠ ص٣٦٦ (دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ١٩٩٤م).

(2) الضحى : الآيات من ١ – ٨ .

(3) معاني القرآن للفراء ج٣ ص٢٧٣ –٢٧٤(دار السرور) ، وانظر كذلك إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ص ١٢١ (دار الكتب العلمية – بيروت)

الفواصل)[1] وعلى كل حال فقد أحدث حذف المفعول في الآيات السابقة وظيفتين إحداهما أسلوبية وهي المحافظة على توافق التنغيم الصوتي الذي يحرص الأسلوب القرآني على المحافظة والإبقاء عليه ، والأخرى دلالية وهي تجنب أن يقع الفعل على ضمير النبي ﷺ لطفا به وشفقة عليه كما أشار إلى ذلك العلامة الألوسي. على أن نفرا من الدارسين اعترض على القول بأن المفعول حذف للرعاية على الفاصلة وإحداث التوافق الصوتي ، وأن ذلك سبب لفظي لا يجب أن يكون غاية من غايات الأسلوب القرآني الذي يُعْنَى بمراعاة المعاني دون الألفاظ ؛ ولذلك تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن تعليقا على هذه الآية بعد أن أوردت أقوال كثير من المفسرين في سبب حذف المفعول : (وأما تعليل الحذف برعاية الفاصلة، فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي ، يقويه الأداء اللفظي ، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل ، ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا ، لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى : **(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)**. وليس في السورة كلها ثاء فاصلة، بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق، ولم يقل تعالى: فخبِّر، لتتفق الفواصل على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون به) [2] .

ولمَ لا يقال إن حذف المفعول جاء للغرضين اللفظي والدلالي معا ولا سيما أن الأسلوب القرآني يحرص على المحافظة على التنغيم الصوتي حتى لو خالف القاعدة النحوية في بعض المواضع، مع ما يؤديه الحذف من أغراض دلالية تستفاد من السياق الواردة فيه . فهل يمكن تجاهل هذا النغم الصوتي الذي ترتاح له النفس ، وترتقي به الروح بحجة أنها اعتبارات لفظية محضة ، وأن

---

(1) روح المعاني للألوسي مج ١٥ ج ٣٠ ص ٣٧٥ .

(2) التفسير البياني للقرآن الكريم د. عائشة عبد الرحمن ص ٣٥ (دار المعارف – ط ٧)

القرآن لا يهتم بالمعنى دون اللفظ؟ إن النظر المتأني في أسلوب القرآن يجد أنه لا يقيم وزنا للمعنى على حساب اللفظ ، ولا وزنا للفظ على حساب المعنى ، بل يجمع بينهما في أسلوب بديع بحيث يمكن القول إن اللفظ والمعنى يتعاونان معا في تواشج حميم، فالقرآن حينما يراعي الفاصلة وإحداث التوافق الصوتي لا يكون الأمر كيفما اتفق. وأحب أن أنقل هنا كلام الدكتور محمد أبو موسى وهو عالم ثبت محقق: (والذي نعتقده أن القرآن حين يراعي الفاصلة ويبقي على تنغيمها إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير لأن رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل في النفس والضمير وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية فتأخذها نشوة يحسها من يرتل هذه الآيات ترتيلا يتهدج فيه صوته ويتماوج مع ألحانها ثم ينتهي إلى هذه الفواصل فيجد عندها القرار، وهذه اللغة التي نزل بها القرآن لغة دندنة وترنم أحس أسلافنا هذه الفضيلة فيها ..وكأنهم اتخذوا من كلمات هذه اللغة أوتارا فكانت أشجى لحنا وأعذب نغما .)[1].

ومن حذف المفعول ما جاء في قوله تعالى : ﴿**فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ [2] فقد حذف مفعول الفعل (يعلمون) أي عاقبة أمركم لتتوافق الفاصلة مع ما قبلها (يعلمون، يؤفكون ، يؤمنون) ، وفي إطلاق الفعل

---

(1) خصائص التراكيب د. محمد محمد أبوموسى ص ٣٥٩ (مكتبة وهبة – القاهرة – ط ٥)، وانظر كذلك كتابه القيم دراسة بلاغية لسورة الأحزاب (الطبعة الثانية) حيث يقول : (والتطريب والتنغيم أصل في سوس بناء هذه اللغة ، وبلاغتها، لأنها لغة الأذن والسماع هكذا نشأت فلم يكن أصحابها كتابا يدونون فتقرأ لغتهم ، وإنما كانوا حفاظا يحفظونها ، فتروى وتسمع ، وتأنقوا في أصواتهم أناقة مدهشة ، ومعجبة ، لتهش لها القلوب فتحفظها وتعيها ، ولتطرب لها الأسماع حين تضرب بأنغامها العذاب أوتار النفوس ، فتجيش بها الأرواح ..) ص ٢٢٣ – ٢٢٤ . وانظر كذلك الفاصلة في القرآن لمحمد الحسناوي ص ٣٦٤(دار عمار – الأردن ط٢ ٢٠٠٠م).

(2) الزخرف : ٨٩ .

عن المفعول ما يؤذن بأن ما سيعلمونه من صنوف العذاب لا يحيط به علم، والأمر كذلك في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (١) فقد حذف مفعول الفعل (تعلمون)في الآيتين لتتناسق الفواصل مع ما في الحذف من دلالات الوعيد والتهديد لتذهب نفوسهم كل مذهب ممكن ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾(٢) حيث حذف مفعول الفعل (يبصرون) فلم يقيد بمفعول معين رعيا على الفاصلة ، وتهديدا ووعيدا ، وأن ما سيلاقونه من ألوان العذاب لا يحيط به وصف أو معرفة.وهكذا يقوم حذف المفعول به في الفواصل – وهو كثير – بدور ملحوظ في التشكيل الإيقاعي لتلك الفواصل ، والمحافظة على توافق التنغيم الصوتي إلى جانب ما يؤديه الحذف من أغراض دلالية تستفاد من السياق .

حذف النعت :

القياس ألا يحذف النعت؛ لأنه هو والمنعوت كالشيء الواحد ، والبيان والإيضاح يحصل من مجموعهما، وفي حذف أحدهما نقض لهذا الغرض ، كما أن الغرض من النعت هو التخصيص أو الثناء والمدح ، وكلاهما من مقامات الإطناب والإسهاب، والحذف من باب الإيجاز والاختصار فلا يجتمعان لتدافعهما، أما إذا قويت الدلالة عليه بحال أو لفظ جاز حذفه كما يقول ابن يعيش(٣) ، ويقل حذف النعت عن المنعوت كما أشار إلى ذلك ابن مالك بقوله :

وما من المنعوت والنعت عقل يجوز حذفه ، وفي النعت يقلّ

---

(1) التكاثر : ٣، ٤ .

(2) الصافات : ١٧٥ .

(3) شرح المفصل لابن يعيش ج٣ ص ٥٩ – ٦٣ .

وقد ورد حذف النعت في القرآن في رؤوس الآي وفي غيرها (وأكثر ما يرد للتفخيم والتعظيم في النكرات ، وكأن التنكير حينئذ علم عليه) [1] ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾[2] فقد وصفت الفاكهة بالكثرة دون الشراب ، والتقدير : بفاكهة كثيرة وشراب كثير، والدليل على المحذوف نصي متقدم في الذكر، وهو قوله : (كثيرة) وهو مما يساعد على التماسك بين عناصر الآية، كما عمل على الرعاية على الفاصلة المنتهية بباء قبلها ألف تشبه ألف التأسيس في القوافي (مآب، شراب ، أتراب) ، ولو ذكر النعت لاختلت الفاصلة ، وقد قيل في سبب الحذف : (لما كانت الفاكهة تتنوع وصفها بالكثرة، وكثرتها باختلاف أنواعها، وكثرة كل نوع منها ؛ ولما كان الشراب نوعا واحدا وهو الخمر أفرد)[3] ويقول العلامة الألوسي : (ويمكن أن يقال ، والله تعالى أعلم : التقدير وشراب كثير لكن حذف كثير لدلالة ما قبل ورعاية الفاصلة) [4] والأمر كذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [5] فقد حذف النعت في الآية السابقة، والتقدير: الذي أطعمهم من جوع شديد ، وآمنهم من خوف عظيم، وقد أومأ إلى هذا الحذف الزمخشري في تعليقه على هذه الآية ، وإن لم ينص صراحة على الحذف ، قال : (والتنكير في جوع وخوف لشدتهما : يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم

---

(1) السابق نفسه ج٣ ص١٠١ -١٠٢ .

(2) ص :٥١ .

(3) انظر تفسير البحر المحيط ج٧ ص ٥٣٧ ، ونظم الدرر ج٦ ص ٣٩٥ (دار الكتب العلمية – بيروت ط٣ ٢٠٠٦م).

(4) روح المعاني مج ١٢ ص ٢٤٠ .

(5) قريش : ٤ .

وهوخوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم)[1] والمهم أن ذكر المنعوت عاريا عن النعت قد وقع في الفاصلة ، وقد عمِل ذلك على إحداث التوافق الصوتي .

حذف متعلق اسم التفضيل :

حكم أفعل التفضيل إذا عري عن (أل) والإضافة أن تتصل به (من) جارة للمفضل نحو : زيد أفضل من عمرو، وقد تحذف من ومجرورها إذا دل عليهما دليل كما جاء في قوله تعالى : **(أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)** أي : وأعز منك نفرا، وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله :

وأفعل التفضيل صلةُ أبدا تقديرا، او لفظا،بمنْ إن جُرِّدَا [2]

ويقول ابن يعيش : (اعلم أنهم قد يحذفون (من) من أفعل إذا أريد به التفضيل ومعنى الفعل ، وهم يريدونها ، فتكون كالمنطوق بها نحو: زيد أكرم وأفضل . فلم تأتِ بألف ولام كما لم تأت بها مع (من)؛ لأن الموجود حكما كالموجود لفظا ومنه قوله عز وجل : **(وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى)** أي أخفى منه أي من السر ، وهو حديث النفس ، والذي يدل على إرادة (من) أن أخفى لا ينصرف كما لا ينصرف آخر من قولك : مررت برجل آخر إذا أردت من معه وإن لم تذكره ، وهذا الحذف يكثر في الخبر ويقل في الصفة، وذلك من قبل أن الغرض من الخبر إنما هو الفائدة)[3] ويقول : (وقالوا الله أكبر والمراد أكبر من كل شيء يدل على ذلك أنه لولم تكن (مِنْ) مرادة لوجب صرف الاسم كما وجب صرف **أفْكَل** ونحوه مما هوعلى أفعل ، ولا معنى

---

(1) الكشاف للزمخشري ج٤ ص ٢٨٨ (دار الفكر – بيروت ط ١) .

(2) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٤-١٦٥ (المكتبة العصرية – بيروت ١٩٩٨م).

(3) شرح المفصل لابن يعيش ج٦ ص ٩٧ .

للوصف فيه ، وإذا لم ينصرف دل على أن (من) مرادة وأنها وإن كانت محذوفة من اللفظ فهي في حكم المثبت .)[1] والمهم أنه قد ورد حذف من ومجرورها بعد أفعل التفضيل في نهاية بعض الآيات لمؤاخاة الفواصل ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾[2] حيث حذف متعلق أفعل التفضيل (أطغى) والتقدير : وقوم نوح أظلم وأطغى من قوم عاد وثمود المتقدم ذكرهما ، أو أن قوم نوح وعاد وثمود كانوا أظلم وأطغى من كفار قريش ، وقد عمل هذا الحذف على توافق الفواصل المنتهية بالألف المقصورة وفي مبرر حذف مِنْ والمفضول يقول أبو حيان: (وحذف المفضول بعد الواقع خبرا لكان ؛ لأنه جار مجرى خبر المبتدأ، وحذفه فصيح فيه ، فكذلك في خبر كان.)[3] وعندي أن في إطلاق اسم التفضيل وعدم تقييده بمفضول معين ما يشعر بأن قوم نوح وحدهم أو قوم نوح وعاد وثمود مجتمعين كانوا أطغى وأظلم من أي قوم أتوا بعدهم ومع ذلك فقد أهلكهم الله جميعا ، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺأي فلا تأس يا محمد بطغيان قومك فثمة من كان أظلم وأطغى منهم وقد أهلكهم الله جميعا . ومن حذف المفضول للرعاية على الفاصلة أيضا ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [4] حيث حذف المفضول بعد (أبقى) لمؤاخاة الفواصل ، والتقدير : والآخرة خير وأبقى من الدنيا ، بدليل قوله قبلها (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) .

حذف المخصوص بالمدح أو الذم :

الأصل أن يذكر المخصوص بالمدح أو الذم للبيان ، إلا أنه قد يجوز اطِّراحُه إذا تقدم ذكره أو كان في اللفظ ما يدل عليه ، ولذلك يقول ابن مالك :

---

(1) السابق ج٦ ص ٩٩ .
(2) النجم : ٥٢ .
(3) تفسير البحر ج٨ ص٢٤١ ، وروح المعاني مج١٤ ص ٦٩ .
(4) الأعلى : ١٧ .

وإن يقدم مشعر به كفـــى كـــ " العلم نعم المقتنى والمقتفى"

وأكثر ما جاء في الكتاب العزيز محذوفا ، وقد جاء مذكورا كما في قوله تعالى : (بِئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا) فأن يكفروا في موضع رفع بأنه المخصوص بالذم أي كفرهم. (١) وقد لجأ القرآن في كثير من المواضع إلى إسقاط المخصوص بالمدح أو الذم في نهايات الآيات تحقيقا للاتساق الإيقاعي ، قال الله تعالى: ﴿**هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ. جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ (٢) فالمخصوص بالذم محذوف لدلالة ما تقدم عليه ، والتقدير : فبئس المهاد هي أي جهنم ، وفي حذفه ما يجعل الفواصل تسير على سنن متسق ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ (٣) فقد حذف المخصوص بالمدح ، والتقدير : فنعم أجر العاملين الجنة بدليل تقدم ذكرها في الآية نفسها (**نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ**) ، وقد ساعد الحذف على ربط عناصر الآية السابقة من خلال المرجعية السابقة الداخلية ، كما أن القرآن وضع الظاهر موضع المضمر في قوله (**فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**) فلم يقل : فنعم أجرنا حتى تتوافق الفواصل مع ملاحظة ما في التعبير بالمظهر من الإشارة إلى الحث على العمل والترغيب فيه، والتنفير من التواكل .ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ**﴾ (٤) المخصوص بالذم محذوف دل عليه ما قبله في الآية ٣٦ (**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**)، والتقدير : فبئس القرين أنت أي الشيطان ، وقد أدى الحذف وظيفتين : إحداهما إيقاعية ، وهي

---

(1) شرح المفصل لابن يعيش ج٧ ص ١٣٥ ، وشرح ابن عقيل ج٢ ص ١٥٧ .

(2) ص : ٥٥ ، ٥٦ .

(3) الزمر : ٧٤ .

(4) الزخرف : ٣٨ .

توافق الفواصل السابقة واللاحقة (قرين، مهتدون، قرين، مشتركون) والأخرى تركيبية، وهي ربط الآيات بعضها ببعض من خلال معرفة الدليل المقالي المتقدم ذكره في قوله : (فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) ثم من المرجعية السابقة من خلال المذكور والمحذوف معا ، ومن ثم تحقق التماسك بين هذه الآية وبين الآيتين اللتين تسبقها .

حذف الياء من آخر الكلمة والاجتزاء عنها بالكسرة :

ومن أنماط الحذف التي وقعت كثيرا في الفواصل حذف الياء من آخر الكلمة، والاجتزاء عنها بالكسرة، وهذا التصرف (لهجة عربية قديمة تنسب إلى قبيلة هذيل) [١] ، وقد عقد ابن جني بابا خاصا في إنابة الحركة عن الحرف ، والحركة عن الحرف، ووصف حذف الياء من آخر الكلمة، والاجتزاء بالكسرة عنها بالكثرة. [٢] وجعل الفراء ذلك من لغة العرب قال عند تعرضه لقوله تعالى: (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي)[٣] (أثبتت فيها الياء ولم تثبت في غيرها ، وكل ذلك صواب ؛ وإنما استجازوا حذف الياء ؛ لأن كسرة النون تدل عليها ، وليست تَهيَّبُ العرب حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسورا ، من ذلك " رب أكرمنِ – و– أهاننِ" وقوله : " أتمدوننِ بمال " ومن غير النون " المنادِ" و " الداع" وهو كثير ، يكتفى من الياء بكسرة ما قبلها ..)[٤] ويقول في موضع آخر : (ولأن العرب قد تحذف الياء وتكتفي بكسر ما قبلها منها ، أنشدني بعضهم :

---

(1) راجع تفسير التحرير والتنوير لسماحة الشيخ ابن عاشورج١ ص ٤٥٧ (دار سحنون – تونس).

(2) راجع الخصائص لابن جني ج٣ ص١٣٣ – ١٣٦ .

(3) من الآية ١٥٠ البقرة .

(4) معاني القرآن للفراء ج١ ص ٩٠

كفاك كف ما تليق درهما جودا وأخرى تعطِ بالسيف الدما

وأنشدني آخر :

ليس تخفي يسارتي قدر يوم ولقد تخفِ شيمتي إعساري (١)

والمهم أن القرآن قد حذف الياء من آخر الكلمة الواقعة فاصلة كثيرا، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : **(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)** (٢) فقد حذفت الياء وأصله (فارهبوني) ؛ لأنها فاصلة ، ومعنى فاصلة رأس آية ليكون النظم على لفظ متسق كما يقول الزجاج.(٣) إن القرآن قد لجأ إلى هذا الاستعمال الخاص عادلا عن مستوى الكلام العادي إلى مستوى النظم القرآني ليحقق اتساقا في التشكيل الإيقاعي للفواصل ، ففي الآية الكريمة السابقة حذفت الياء ضمير النصب من **(فَارْهَبُونِ)** لتتوافق مع الفاصلة التي تسبقها وهي **(خالدون)** والفاصلة التي تليها وهي (**فاتقون**)، والتي لجأ القرآن إلى حذف الياء منها بدورها لتتوافق إيقاعيا مع ما بعدها (تعلمون) وهكذا . ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ**﴾ (٤) فقد حذفت ياء المنقوص المعرّف (التنادي) واجتزئ عنها بالكسرة لتتوافق مع الفواصل السابقة واللاحقة (للعباد ، التناد ، هاد) كما ورد في حديث أم زرع : (زوجي رفيع العماد ، طويل النجاد ، كثير الرماد ، قريب البيت من الناد) فحذفت الياء من الاسم المنقوص المعرف (الناد) ، والأمر كذلك في قوله تعالى : **(وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ)** (٥) حذفت الياء من (الوادي) لتتناسق الفواصل

---

(1) السابق نفسه ج٣ ص ٢٦٠ .

(2) من الآية ٤٠ البقرة .

(3) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج١ ص ١٢١ (دار الحديث – القاهرة ط ١ ١٩٩٤م).

(4) غافر : ٣٢ .

(5) الفجر : ٩ .

(عاد، العماد، البلاد، بالواد، الأوتاد) ومن ذلك حذف ياء الإضافة أو ياء المتكلم كما جاء في قوله تعالى : ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ . وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١) حذفت الياء من نذير ونكير تخفيفا ،ولتتوافق الفواصل (النشور ، تمور ، نذير، نكير، بصير) وقد أشار العلامة البقاعي إلى الغرض الدلالي لهذا الحذف بقوله : (وحذف الياء من نذير ومن نكير إشارة إلى أنه وإن كان خارجا عن الطرق ليس منتهى مقدوره بل لديه مزيد ، لا غاية له بوجه ولا تحديد) (٢) ومن ذلك قوله تعالى أيضا : ﴿أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ (٣) حيث حذفت ياء الإضافة من قوله (عذاب) واجتزئ عنها بالكسرة لتتوافق مع ما بعدها من الفواصل (الوهاب ، الأسباب ، الأحزاب) كما أن حذف الياء إلى جانب التخفيف يشير إلى (أنه العذاب الأدنى المذهب لحمية الجاهلية)(٤) ومن ذلك حذف الياء من الفعل المضارع غير المجزوم كما جاء في قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (٥) فقد حذفت الياء من المضارع دون مبرر نحوي لحذفها ، فـ (يسري) فعل مضارع مرفوع بتجرده من الجازم، ومع ذلك حذفت الياء، والعلة في ذلك هو التخفيف والرعاية على الفاصلة (الفجر، عشر، الوتر، يسر، حجر) ويحكى عن الأخفش أن المؤرخ السدوسي سأله عن ذلك فقال : لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلة، ففعل، فقال له : إن عادة العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه، والليل لما كان لا يسري ، وإنما يُسرى فيه ، نقص منه حرف ، كما في قوله

---

(1) الملك : ١٧، ١٨ .

(2) نظم الدرر ج٨ ص ٧٨ .

(3) ص : ٨ .

(4) نظم الدرر ج ٦ ص ٣٦٣ .

(5) الفجر : ٤ .

تعالى: (**وما كانت أمك بغيا**) مريم : ٢٨ الأصل : بغية فلما حول ونقل عن فاعل نقص منه حرف[١] وهذا يصور لنا مدى معاناة هؤلاء العلماء في تحصيل العلم والصبر عليه .

ومن أنماط الحذف أيضا **حذف أحد المتلازمين**، وهو ما أطلق عليه الزركشي اسم (الاكتفاء) وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفى بأحدهما عن الآخر[٢] ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى**﴾ [٣] قال الفراء تعليقا على هذه الآية : (ويقال : إن علينا للهدى والإضلال، فترك الإضلال كما قال: (سرابيل تقيكم الحرّ) النحل/ ٨١، وهي تقي الحر والبرد)[٤] لتتوافق الفواصل المنتهية بالألف المقصورة .

ثانيا : الزيادة في الفواصل

قد يتصرف القرآن بزيادة بعض الحروف في الكلمات حتى تتوافق الفواصل ، كزيادة ألف في بنية الكلمة كما جاء في قوله تعالى : ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** ﴾[٥] فالعسرى واليسرى بمعنى العسر واليسر؛ ولكن الألف زيدت في آخرها لتوافق رؤوس الآي كما يقول ابن خالويه[٦] ويؤيد القول بزيادة الألف في الكلمتين السابقتين قول الزمخشري : (سمّى طريقة الخير باليسرى؛ لأن عاقبتها اليسر، وطريقة الشر العسرى ؛ لأن

---

(1) راجع البرهان للزركشي ج٣ ص ٧٠ ، ونظم الدرر ج٨ ص ٤١٤ ، وروح المعاني مج١٥ ص ٣٣٦ .
(2) البرهان ج٣ ص ٧٨ .
(3) الليل : ١٢ .
(4) معاني القرآن للفراء ج٣ ص ٢٧١ .
(5) الليل : الآيات من ٥ – ١٠ .
(6) إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه : ص ١١٠ .

عاقبتها العسر) [1] ومن ذلك زيادة هاء السكت، وهو استعمال شائع عند العرب في الوقف؛ ولذلك يقول ابن خالويه: (والعرب تقول : ارم يازيد وارمهْ، واقتد يا زيد واقتدهْ) قال الشاعر :

مهما ليَ الليلة مهمـــا ليهْ أودى بنعلـــيَّ وسربالِيهْ

وقال آخر :

تبكيهمُ دهمـــاء معولـــةً وتقول سلمـــى وارزيَّتيهْ [2]

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ . إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾**[3] فقد زيدت الهاء في كلمتي (كتابي وحسابي) الواقعتين فاصلتين حتى تتناسق الفواصل مع بعضها البعض والمنتهية بتاء مربوطة، ويوقف عليها عند الوقف بالهاء (خافية ، كتابيه، راضية ، عالية)، ولو قيل : اقرأوا كتابي ، وملاق حسابي لذهبت الفاصلة، وكذلك زيدت الهاء في قوله : **(مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ)** في السورة نفسها، وهكذا يتصرف القرآن بالزيادة للمحافظة على التنغيم الصوتي والتشكيل الإيقاعي للآيات. يقول العكبري تعليقا على هذه الآيات : (والهاء في هذه المواضع لبيان الحركة لتتفق رؤوس الآي .)[4] ومن ذلك قوله تعالى : **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ)**[5] فقد زيدت هاء السكت في قوله : **(مَا هِيَهْ)** لتخفيف اللفظ عند الوقف عليه ، وحتى تتوافق الفواصل السابقة واللاحقة، كما أن في زيادة هذه الهاء (إشارة إلى أن ذكرها – أي ذكر الهاوية – مما يكرب القلب حتى لا يقدر على الاسترسال في الكلام)[6] .

---

(1) الكشاف للزمخشري ج٤ ص ٢٦١ .
(2) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ١٦٤ .
(3) الحاقة : ١٩ ، ٢٠ .
(4) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ج٢ ص ٤٦٥ (دار الفكر – بيروت ط١ ١٩٩٧م)
(5) القارعة : ١٠ .
(6) انظر نظم الدرر للبقاعي ج٨ ص ٥١٥ .

المبحث الثاني

التقديم والتأخير في الفواصل

التقديم والتأخير بين مكونات الجملة في نهايات الآيات القرآنية وسيلة لغوية هامة تسهم في التشكيل الإيقاعي للفاصلة بصورة واضحة من خلال تعدد صوره وأنماطه، فكثيرا ما يتصرف القرآن بالتقديم والتأخير، وإرباك الترتيب بين مكونات الجملة الأصلية ، والتحول بها عن رتبتها الأصلية إلى رتبة مشوشة من أجل الفاصلة ، وقد لوحظ أن أكثر أنماط التقديم دورانا في الفاصلة هو تقديم متعلق الفعل سواء أكان جارا ومجرورا أم مفعولا به ، وإلى جانب الدور الإيقاعي الذي يحدثه التقديم في الفواصل ، هناك دائما جانب دلالي يكون وراء هذا التقديم يستفاد من السياق الذي يرد فيه؛ فلا يقتصر دوره على اللفظ أو الشكل – أعني مراعاة الفواصل وحسب ، بل ثمة أغراض دلالية تصحب هذا التصرف الأسلوبي في التراكيب التي يرد فيها، ومن هنا يتعاون الشكل والمضمون– اللفظ والمعنى في تواشج حميم؛ ومن أنماط التقديم في الفواصل :

تقديم المفعول به :

أجاز النظام اللغوي أن يتقدم المفعول على الفعل ما لم يمنع من ذلك مانع مما هو موضح في كتب النحاة ، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

وقد يجاء بخلاف الأصل وقد يجي المفعول قبل الفعل

ومن أمثلة تقديم المفعول به ما جاء في قوله تعالى : (**أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ**)[1] حيث نجد أن المفعول به (آلهة) قد تقدم على فعله (تريدون) رعاية

---

(1) الصافات :٨٦

على الفواصل السابقة واللاحقة (تعبدون، تريدون، العالمين) ، والغرض الدلالي من هذا التقديم هو العناية والاهتمام، كما قدم المفعول له (إفكا) على المفعول به؛ إشارة إلى الإسراع في وصفهم بالكذب والضلال؛ ولذلك يقول الزمخشري عند تعرضه لهذه الآية الكريمة: ("أئفكا" مفعول له تقديره: أتريدون آلهة من دون الله إفكا، وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية، وقدم المفعول له على المفعول به ؛ لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم ..)[1] .

وقد ذكر المفسرون ومن بينهم الزمخشري وجوها إعرابية أخرى للآية الكريمة ، فقالوا : إن (إفكا) يمكن أن يكون مفعولا به ، فهو منصوب بـ (تريدون)، و(آلهة) بدل منه ، ويمكن أن يكون حالا بمعنى : أتريدون آلهة من دون الله آفكين [2] .

وأيا ما كان الأمر فقد خلص الفعل المضارع المختوم بالواو والنون للفاصلة لتتسق مع ما قبلها وما بعدها ، مع العناية الملحوظة من تقديم المفعول به سواء أكان (آلهة) أم (إفكا) . وفي قوله تعالى (**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**)[3] قدم المفعول به (إياه) على عامله (تعبدون) مراعاة على الفواصل، مع ما أفاده التقديم في هذا السياق من اختصاص الله بالعبادة دون سواه ، أي إن كنتم تخصونه بالعبادة، فلا تعبدوا غيره .ومن ذلك أيضا

---

(1) الكشاف للزمخشري ج٣ ص ٣٤٤ .

(2) راجع في تفسير هذه الآية تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج٧ ص ٤٨٦ ، ونظم الدرر للبقاعي ج٦ ص٣٢٢، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ج٢ ص ٣٤٩ .

(3) فصلت : ٣٧ .

قوله تعالى: (**وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى**)[1] فقد تقدم المفعول به (المؤتفكة) على فعله (أهوى)، وأصل الكلام : وأهوى المؤتفكة؛ ولا شك أن تقدم المفعول وتأخر الفعل المنتهي بالألف المقصورة عمل على المحافظة على رؤوس الآي، وبذلك أبقى على التنغيم الصوتي للفاصلة ، كما أفاد هذا التقديم عناية واهتماما بالمتقدم وبعبرة انقلابه، ولو جاء على أصله لكان خبرا ساذجا غفلا من الاهتمام والعناية به، ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى : (**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ . ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**)[2] حيث تقدم المفعول به (الجحيم) على عامله (**صلوه**) للمحافظة على رؤوس الآي ، والإبقاء على النغم، مع ما يفيده التقديم من الدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر صنوف العذاب، وما يشعر به هذا التقديم أيضا من استعجال العذاب، والأمر كذلك في تقديم الجار والمجرور(**في سلسلة**) على عامله (**فاسلكوه**) مما يدل على الاهتمام بها وتخصيصها لشدة مخافتها إلى جانب الرعاية على الفاصلة كما هو واضح ، يقول الزمخشري في تعليقه على هذه الآية : (ثم لا تصلوه إلا الجحيم، وهي النار العظمى ؛ لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس، يقال : صلي النار وصلاه النار. سلكه في السلسلة: أن تكون على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها وهو فيما بينها مرهق و مضيق عليه لا يقدر على حركة. وجعلها سبعين ذراعا إرادة الوصف بالطول كما قال : (**إن تستغفر لهم سبعين مرة**) يريد مرات كثيرة ؛ لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد، والمعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية : أي لا تسلكوه إلا في

---

(1) النجم: ٥٣ .

(2) الحاقة : الآيات ٣٠- ٣٢ .

هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم)[1] وقد هاجم أبو حيان الزمخشري على عادته قائلا : (وإنما قدَّرَه لا تصلوه إلا الجحيم ؛ لأنه يزعم أن تقديم المفعول يدل على الحصر. وقد تكلمنا معه في ذلك عند قوله: (إياك نعبد) وليس ما قاله مذهبا لسيبويه ولا لحذّاق النحاة)[2] .

ومن أنماط التقديم في الفواصل **تقديم متعلق المسند خبرا كان أم فعلا** ، وهو أكثر أنماط التقديم دورانا في الفواصل، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ**﴾ [3] نلاحظ تقدم الجار والمجرور (إليكم)، وهو متعلق الخبر (مرسلون) رعاية على الفاصلة قبلها وبعدها (المرسلون، تكذبون)، والغرض الدلالي من هذا التقديم هو الاهتمام بأمر المرسل إليهم، وفي قوله تعالى : ﴿**وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[4] نجد أن متعلق الفعل (إليه) قد تقدم على فعله (ترجعون) لتتناسق الفاصلة مع ما قبلها (مهتدون)، ومع ما بعدها (ينقذون) ، والغرض الدلالي لهذا التقديم هو قصر الرجوع إلى الله وحده ، وكأنه بتقديم الجار والمجرور يريد أن يقول : وإلى الله وحده لا إلى غيره ترجعون . وفي قوله تعالى : ﴿**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[5] قد عمل تقديم الجار والمجرور على عامله على أن تأتي الفاصلة متسقة مع ما بعدها وما قبلها، مع ما يوحي به هذا التقديم من استفظاع استهزائهم بمن يرسل إليهم من الرسل، وما تدل عليه صيغة المضارع من تكرار هذا الاستهزاء وتجدده، مما يكشف عن إصرارهم على العناد والكفر.

---

(1) الكشاف للزمخشري ج٤ ص ١٥٣- ١٥٤ .وانظر كذلك تفسير البيضاوي ج٢ ص٥٢٣٠، وتفسير التحرير والتنوير : مج ١٤ ج٢٩ ص١٣٨ .

(2) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج ٨ ص ٤٥٧ .

(3) يس : من الآية ١٤ .

(4) يس : الآية ٢٢ .

(5) يس : الآية ٣٠ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[1] حيث تقدم الجار والمجرور (عنه) على عامله الخبر (معرضون) رعاية على الفاصلة السابقة واللاحقة (عظيم ، معرضون ، يختصمون) مع ما في الإتيان بالجملة الاسمية من الدلالة على الدوام وتمكن الإعراض منهم ، وفي قوله تعالى : ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [2] تقدم الجار والمجرور (بها) على فعله (تكذبون) رعاية على الفاصلة، مع ما تدل عليه صيغة المضارع من تجدد تكذيبهم وتكرر وقوعه ، وما أفاده التعبير بالفعل الماضي (كانوا) من تأصل هذا التكذيب ورسوخه فيهم .وهكذا يقوم تقديم الجار والمجرور على متعلقه في نهايات الآيات بدور واضح في الرعاية على الفاصلة، مع ما يصحب هذا التقديم من أغراض دلالية تستفاد من السياق الذي ترد فيه ، ويكثر هذا النمط من التقديم حتى إننا يمكن أن نعده من الملامح الأسلوبية الواضحة في الفاصلة .

تقديم المسند على المسند إليه :

ومن أنماط التقديم التي يكثر دورانها أيضا في نهايات الآيات حفاظا على التنغيم والتوازن الصوتي مع ما يصحب ذلك من أغراض دلالية لهذا التقديم ، تقديم المسند على المسند إليه ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى . أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ [3] فقد تقدم المسند (له) على المسند إليه (الأنثى)، فتناسقت الفواصل ، ولو قال : ألكم الذكر والأنثى له لذهبت الفاصلة،ولذهب ماء الكلام ورونقه ، مع ما في تقديم المسند من دلالة على قصر الإناث على الله وحده دون الذكور واختصاصه بها – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– يقول أبو حيان في تعليقه على هذه الآية : (والمعنى : ألكم

---

(1) ص : الآيتان ٦٧، ٦٨ .

(2) الطور : ١٤ .

(3) النجم : الآيات ١٩ – ٢١ .

النوع المحبوب المستحسن الموجود فيكم، وله النوع المذموم بزعمكم ؟ وهو المستثقل. وحسّن إبراز الأنثى كونه نصا في اعتقادهم أنهن إناث ، وأنهن بنات الله تعالى، وإن كان في لحاق تاء التأنيث في اللات وفي مناة ، وألف التأنيث في العزى ،ما يشعر بالتأنيث ، لكنه قد سمى المذكر بالمؤنث، فكان في قوله : " الأنثى " نص على اعتقاد التأنيث فيها . وحسّن ذلك أيضا كونه جاء فاصلة ، إذ لو أتى ضميرا، فكان التركيب ألكم الذكر وله هنّ، لم تقع فاصلة)[1] ومن تقديم المسند ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ. إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرّ﴾ [2] ففي تقديم المسند (إلى ربك) على المسند إليه (المستقر) تحقيق لوظيفتين إحداهما لفظية وهي الرعاية على الفاصلة؛ لأن القرآن لو التزم الترتيب الأصلي فلم يلجأ إلى تشويش الرتبة فقال : المستقر يومئذ إلى ربك لذهبت الفاصلة، والأخرى دلالية حيث أفاد التقديم قصر الاستقرار على الله وحده ، واختصاصه به ، يقول الزمخشري : (يعني أنهم لا يقدرون أن يستقروا إلى غيره وينصبوا إليه أو إلى حكمه ترجع أمور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله: لمن الملك اليوم)[3] والأمر كذلك في قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [4] فتقديم المسند (إلى ربها) على عامله أقام الفاصلة ، وأفاد قصر النظر إلى الله وحده واختصاصه به كما يقول الزمخشري : (تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول) [5] وكذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [6] وقوله : ﴿وَالْتَفَّتِ

---

(1) تفسير البحر المحيط ج ٨ ص٢٣٠ .

(2) القيامة : الآيتان ١١ ،١٢ .

(3) الكشاف ج٤ ص ١٩١ .

(4) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .

(5) الكشاف ج٤ ص١٩٢ .

(6) القيامة : ١٨ ، ١٩ .

السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [1] ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [2] حيث تقدم المسند (إلينا) و (علينا) على المسند إليه (إيابهم) و(حسابهم) في الآيتين، وقد عمل ذلك على إقامة الفاصلة، كما أفاد قصر إرجاعهم وحسابهم على الله وحده، واختصاصه بذلك، وفي ذلك يقول الزمخشري: (فإن قلت : ما معنى تقديم الظرف ؟ قلت : معناه التشديد في الوعيد، وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار ، المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير)[3] .

ومن أنماط التقديم **عدم مراعاة الترتيب الوجودي** كأن يقدم الآخرة على الأولى حفاظا على التوازن الصوتي الذي يحرص القرآن عليه ، مع ما يستفاد من غرض دلالي يكون وراء هذا التقديم ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى . فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ [4] لم يبالِ القرآن بالترتيب الوجودي فقدم المتأخر في الزمان على المتقدم ، وكان لهذا التصرف الأسلوبي غرضان: توافق الفواصل المنتهية بالألف المقصورة، والتي لا يصلح معها مراعاة الترتيب الزماني كأن يقول: فلله الأولى والآخرة، مع ما أفاده هذا التقديم من الاهتمام بأمر الآخرة، ولفت الانتباه إليها لتكون محط الاهتمام والعناية من المعتقدين فيها المؤمنين بها. ويرى الإمام البقاعي أنه لم يقدم الآخرة ويؤخر الأولى في هذه الآية مراعاة للفواصل؛ لأنه لو قيل (الأخرى) لصلحت الفاصلة، ولا يرى إلا الغرض الدلالي وراء هذا التقديم حيث يقول : (ولما كانت الآخرة دار اللذات وبلوغ جميع الأماني وحرمانها ، وكانوا يدعون فيها على

---

(1) القيامة : ٢٩ ، ٣٠ .

(2) الغاشية : ٢٥ ، ٢٦ .

(3) الكشاف ج٤ ص ٢٤٨ .

(4) النجم : ٢٤ ، ٢٥ .

تقدير كونها جميع ما يتمنون من شفاعة آلهتهم وإجابتها إلى إسعادهم ونحو ذلك، قدم قوله : (الآخرة) فهو لا يعطي الأماني فيها إلا لمن تبع هداه وخالف هواه و(الأولى) فهو لا يعطي جميع الأماني لأحد فيها أصلا كما هو مشاهد ، فمن ترك هواه فيها نال أمانيه في الآخرة ، فلهذا قدمها لا للفاصلة فإنه لو قيل (الأخرى) لصلحت للفاصلة)[1] وأتفق مع الإمام البقاعي فيما ذهب إليه من الفائدة الدلالية من تقديم الآخرة على الأولى، وأختلف معه – على علمه وفضله– فيما ذهب إليه من أن القرآن لم يقدم (الآخرة) لأجل الفاصلة، وأن الفاصلة تصلح لوقال : فلله الأولى والأخرى؛ ذلك أن القرأن الكريم لو راعى الترتيب الوجودي فقدم الأولى وجاء بالأخرى بدلا من الآخرة لما حقق ذلك التنغيم والتوازن الصوتي الذي حققه قوله تعالى: (فلله الآخرة والأولى)، على أن كلمة الأخرى لم تأت في القرآن – غالبا – إلا في مواضع الاستهجان والذم فكيف ينسبها الله تعالى إلى نفسه ويقصرها عليه ويختص بها ؛ يقول الزمخشري تعليقا على قوله تعالى : **(وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى)**[2] (والأخرى ذم ، وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى : (وقالت أخراهم لأولاهم) أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم) [3] .

وعندي أن القرآن قدم الآخرة على الأولى للاعتبارين السابقين معا الاعتبار اللفظي وهو مراعاة الفواصل ، والاعتبار المعنوي المستفاد من وراء هذا التقديم ، وهو العناية بأمر الآخرة ، ولفت الانتباه إليها بتقديمها .

---

(1) نظم الدرر للبقاعي ج٧ ص٣٢٥، وانظر كذلك تعليقه على قوله تعالى : (وإن لنا للآخرة والأولى) الليل :١٣ وقوله : (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) النازعات : ٢٥ .

(2) النجم : ٢٠ .

(3) الكشاف ج٤ ص ٣٠ .

ومن أنماط التقديم أيضا **تقديم جواب الشرط** كما جاء في قوله تعالى : **(فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى)**[1] ، نلاحظ أن جواب الشرط مقدم على أداة الشرط وفعلها، مع أن النحاة لم يجيزوا أن يتقدم جواب الشرط على أداته ، يقول ابن يعيش : (ولا يتقدم الجزاء على أداته فلا تقول : آتك إن أتيتني وأحسن إليك إن أكرمتني بالجزم على الجواب ؛ لأن الجزاء لا يتقدم على ما ذكرنا)[2] لكن القرآن لا يأبه بالمخالفة حرصا على تحقق التوافق الصوتي ، حيث تنتهي الآيات بالألف المقصورة، ولو التزم الترتيب الأصلي لذهبت الفاصلة ؛ ولذلك يقول ابن خالويه تعليقا على هذه الآية : (فإن قيل لك : فأين جواب الشرط ؟ فقل : معنى الآية التقديم والتأخير : إن نفعت الذكرى فذكر . وإنما أخّر لرؤوس الآي)[3] .

* *

(1) الأعلى : ٩ .

(2) شرح المفصل لابن يعيش ج٩ ص ٧ .

(3) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ص ٥٩ .

المبحث الثالث

التعويض في الفواصل

والمقصود بالتعويض أن تقام كلمة مكان أخرى ، أو صيغة صرفية مكان صيغة أخرى أو حرف مكان آخر حتى تتوافق الفواصل[1] ومن ذلك **إقامة اسم الفاعل مقام المصدر** كما جاء في قوله تعالى : **(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ)**[2] فقد أقيم اسم الفاعل (كاذبة) مقام المصدر (تكذيب) حتى تتوافق الفواصل المنتهية بالتاء المربوطة. يقول الفراء (يقول : ليس لها مردودة ولا رد ، فالكاذبة هاهنا مصدر مثل العاقبة ، والعافية .)[3] وقد أشار العلامة البقاعي إلى الغرض الدلالي من إقامة اسم الفاعل مقام المصدر في هذا السياق بقوله : (كاذبة أي كذب ؛ فهي مصدر عبر عنه باسم الفاعل للمبالغة بأنه ليس في أحوالها شيء يمكن أن ينسب إليه كذب ولا يمشي بها كذب أصلا ولا يقر عليه ، بل كل ما أخبر بمجيئه جاء من غير أن يرده شيء ، وكل ما أخبر بنفيه انتفى فلا يأتي به شيء)[4] .

ومن ذلك **إقامة اسم المفعول مقام المصدر** كما جاء في قوله تعالى : **(بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ)**[5] والمعنى بأيكم الفتنة فأوقع المفتون موقع الفتنة كقولهم : ما له معقول أي عقل ، وقد عمل وضع اسم المفعول موضع المصدر على تناسق الفواصل، ولوقيل: بأيكم الفتنة لذهبت الفاصلة. ومن أنماط التعويض **وضع**

---

(1) انظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ج١ ص٣٣٧ (دار الجيل – بيروت)

(2) الواقعة : ١، ٢ .

(3) معاني القرآن للفراء ج٣ ص ١٢١ ، وانظر كذلك الكشاف للزمخشري ج٤ ص ٥١ ، وتفسير البحر المحيط ج٨ ص ٢٨٩ .

(4) نظم الدرر للبقاعي : ج٧ ص ٤٠٣ .

(5) ن : ٦ .

(أفعل) موضع (فاعل) كما جاء في قوله تعالى : (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى)[1] حيث وضع القرآن أفعل (الأشقى) موضع فاعل لمؤاخاة الفواصل المنتهية بالألف المقصورة ؛ يقول أبو عبيدة تعليقا على هذه الآية : (والعرب تضع أفعل) في موضع (فاعل) قال طرفة :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد [2]

ومن أنماط التعويض أيضا **وضع فاعل موضع مفعول** ، وهذه لغة لأهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلا إذا كان في مذهب نعت ، كقول العرب : هذا سر كاتم، وهم ناصب، وليل نائم، وعيشة راضية كما يقول الفراء وابن خالويه[3] ومما وقع من ذلك في الفواصل ما جاء في قوله تعالى : (خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ)[4] فقد وضع القرآن صيغة فاعل موضع صيغة مفعول جريا على لغة بعض العرب، وهم أهل الحجاز، حتى تتوافق فواصل الآيات، فدافق فاعل في اللفظ مفعول في المعنى، ولو قيل مدفوق لما تآخت الفواصل، ولذهب التنغيم الصوتي الذي يتحقق بإحلال دافق محل مدفوق . ومن ذلك قوله تعالى : (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)[5] فقد وصف القرآن العيشة بأنها راضية، مع أنها ليست هي الراضية، وإنما صاحبها ؛ فصاحبها راض وهي مرضية، فهو من إجراء الوصف على غير من هو له؛ ولذلك ففاعل (راضية) – هنا – بمعنى مفعول (مرضية)، وقد عمل ذلك على توافق الفواصل قبلها وبعدها (كتابيه ،

---

(1) الليل : ١٥ .

(2) مجاز القرآن لأبي عبيدة ج٢ ص ٣٠١ (مكتبة الخانجي – القاهرة)

(3) معاني القرآن للفراء ج٣ ص ٢٥٥ ، وانظر إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه ص ٤٥ .

(4) الطارق : ٦ .

(5) الحاقة : ٢١ .

حسابيه، راضية، عالية) وإلى جانب ذلك ثمة غرض دلالي وراء هذا التصرف في هذا السياق وهو أن الرضى لشدته وتناهيه كأنه قد انسحب على العيشة نفسها حتى أصبحت كأنها راضية ، وكأنها لابست صاحبها ، ويعجبني – هنا – تبرير العكبري لهذا التصرف القرآني حيث يقول : (وكأن العيشة رضيت بمحلها وحصولها في مستحقها، أو لأنها لا حال أكمل من حالها، فهو مجاز.)[1] .

إقامة (فَعُول) مقام (فاعل) :

ومن أنماط التعويض حتى تتناسق الفواصل أيضا وضع صيغة فعول موضع فاعل، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : **(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)**[2] كانت المطابقة النحوية تقتضي أن يقال : إما شاكرا وإما كافرا، لكنه عدل إلى (كفورا) حتى تتوافق الفواصل السابقة واللاحقة (مذكورا، بصيرا، كفورا، سعيرا) ولو قال: كافرا لاختلت الفاصلة؛ كما أن صيغة (فعول) أكثر دلالة في هذا السياق؛ ذلك أنها أكثر مبالغة من فاعل ، وهو ما يتوافق مع سياق الآية ؛ لأن الإنسان قليل الشكر كثير الكفر كما وصفه القرآن غير مرة بقوله : (**فقليلا ما تشكرون**) وقوله : (**إن الإنسان لكفور**) ولذلك ناسبه أن يوصف بفاعل (شاكرا) ولما كان كثير الكفر ناسبه أن يوصف بفعول (كفور)، وقد أشار إلى ذلك العلامة البيضاوي بقوله : (ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل، وإشعارا بأن الإنسان لا يخلو عن كفران غالبا، وإنما المؤاخذ به التوغل فيه)[3] .

---

(1) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ج٢ ص ٤٦٥ ، وانظر كذلك مجاز القرآن لأبي عبيدة ج٢ ص ٢٦٨، ونظم الدرر ج٨ ص ١٣١، ومعاني القرآن للفراء ج٣ ص ١٨٢.

(2) الإنسان : ٣ .

(3) تفسير البيضاوي ج٢ ص ٥٥١ .

ومن أنماط التعويض **وضع مصدر مكان آخر** فقد يؤثر القرآن مصدرا على آخر لتحقيق غرض دلالي إلى جانب الغرض الإيقاعي كما جاء في قوله تعالى: (**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**)[1] فهو لم يقل : شكرا وإنما اختار شكورا لتتناسق الفواصل المنتهية بالراء المسبوقة بالياء أو الواو ردفا لها (مستطيرا، أسيرا، شكورا) ووراء ذلك غرض دلالي أشار إليه العلامة البقاعي بقوله: (وكأنه اختير هذا المصدر المزيد كالدخول والخروج والقعود إيماء إلى أن المنفي ما يتكلف له، وأما مثل المحبة والدعاء فلا، ولو أرادوا شيئا من ذلك لما كان لله)[2] .

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : (**إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى**)[3] فالرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع[4] لكن القرآن آثر (الرجعى) على (الرجوع) وفاء لحق الفواصل المنتهية بالألف المقصورة قبلها وبعدها (ليطغى ، استغنى، الرجعى، صلى) يقول ابن خالويه : (ومعناه : إن إلى ربك رجوعنا . وإنما قيل الرجعى ليوافق رؤوس الآي)[5] مع ما في تقديم الخبر(إلى ربك) على اسم إن (الرجعى) من إفادة الاهتمام والاختصاص أي إلى ربك لا إلى غيره الرجوع ومن ذلك قوله تعالى: (**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا**)[6] فقد آثر القرآن الطغوى بدلا من الطغيان، وهما بمعنى واحد حتى تتناسق الفواصل، ولو قال : بطغيانها لذهبت الفاصلة ؛ ولذلك يقول الفراء في تعليقه على هذه الآية : (أراد بطغيانها

---

(1) الإنسان : ٩ .

(2) نظم الدرر ج٨ ص ٢٦٨ .

(3) العلق : ٨ .

(4) الكشاف ج٤ ص ٢٧١ .

(5) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ١٣٨ .

(6) الشمس : ١١ .

إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات ؛ فاختير لذلك)[1] مع ملاحظة حذف مفعول الفعل (كذبت) لدلالة ما قبله عليه وهو قوله : (فقال لهم رسول الله) والتقدير : كذبت ثمود بسبب طغيانها رسولهم) ، وقد ساعد هذا الحذف أيضا على تناسق الفواصل.على أن ثمة غرضا دلاليا وراء اختيار الطغوى بدلا من الطغيان إلى جانب تحقيق التنغيم الصوتي أشار إليه العلامة البقاعي بقوله : (واختير التعبير به دون اليائي لقوة الواو ، فأفهم أنهم بلغوا النهاية في تكذيبهم ، فكانوا على الغاية من سوء تعذيبهم)[2] وبذلك يكون اختيار هذه الكلمة وإيثارها على الطغيان قد حقق غرضين في سياقه : غرض صوتي وآخر دلالي. ومن ذلك قوله تعالى : (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا)[3] فقد أوثر (نباتا) وهواسم مصدر دون (إنباتا) لمراعاة التماثل في ألفاظ الفواصل، والتي بنيت على ألف تشبه ألف التأسيس في القوافي (طباقا ، سراجا ، نباتا) ولوقيل : إنباتا لكان ذلك أثقل في السمع من (نباتا) التي هي أخف من أختها يقول ابن عاشور تعليقا على هذه الآية : (ونباتا : اسم من أنبت ، عومل معاملة المصدر فوقع مفعولا مطلقا لـــ " أنبتكم " للتوكيد ، ولم يجر على قياس فعله فيقال : إنباتا؛ لأن نباتا أخف فلما تسنى الإتيان به لأنه مستعمل فصيح لم يعدل عنه إلى الثقيل كمالا في الفصاحة ، بخلاف قوله بعده " إخراجا " فإنه لم يعدل عنه إلى: خروجا؛ لعدم ملاءمته لألفاظ الفواصل قبله المبنية على ألف مثل ألف التأسيس، فكما تعد مخالفتها في القافية عيبا كذلك تعد المحافظة عليها في الأسجاع والفواصل كمالا)[4] .

---

(1) معاني القرآن للفراء ج٣ ص ٢٦٧ .

(2) نظم الدرر ج٨ ص ٤٤٢ .

(3) نوح : ١٧ .

(4) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور مجلد١٤ ج٢٩ ص ٢٠٤- ٢٠٥ .

ومهما يكن من شيء فقد اختير (نباتا) وأوثر على (إنباتا) لتتوافق الفواصل؛ ولأنه أخف، وأدل على الحدوث؛ لأنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات كما يقول الزمخشري[1]، كما أن ثمة غرضا دلاليا وراء اختيار هذه الكلمة أشار إليه العلامة البقاعي بقوله : (ولما كان إنكارهم للبعث كأنه إنكار للابتداء أكده بالمصدر وأجراه على غير فعله بتجريده من الزيادة، إشارة إلى هوانه عليه سبحانه وتعالى وسهولته مع أنه إبداع وابتداء واختراع فقال (نباتا))[2] ، ومن ذلك قوله تعالى : **(وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)** [3] فقد وضع القرآن (تبتيلا) موضع (تبتلا) وقد أدى ذلك إلى مراعاة الفواصل السابقة واللاحقة المنتهية باللام المفتوحة المسبوقة بالياء، ولو قيل : (تبتلا) لفقدت الياء واختلت الفاصلة، وإلى جانب هذا الغرض الصوتي الإيقاعي، ثمة غرض دلالي وراء استخدام هذا المصدر فهو يشير إلى الانقطاع إلى الله بالعبادة، وتجريد النفس عما سوى ذلك، وإراضتها على ذلك التبتل . ومن ذلك قوله تعالى أيضا : **(وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا)**[4] فقد آثر القرآن هذا المصدر (كذابا) بدلا من (تكذيبا) مراعاة لحق الفواصل المنتهية بالباء المسبوقة بألف ، فكان أشكل لرؤوس الآي، على أن في استخدام هذا المصدر غرضا دلاليا آخر ، ذلك أن الكِذَّاب أشد من الكذب وهوما يدل على المبالغة في تكذيبهم بآيات الله، وإمعانهم في ذلك، كما يوحي هذا المصدر المشدد بأن التكذيب قد وقع وتكرر منهم مرارا، ولذلك كان أنسب في موقعه دلاليا وصوتيا.

---

(1) الكشاف للزمخشري ج٤ ص١٦٣ .

(2) نظم الدرر للبقاعي ج٨ ص ١٧٢ .

(3) المزمل : ٨ .

(4) النبأ : ٢٨ .

وضع (فُعّال) موضع (فعيل) : وهو استعمال عربي شائع (فالعرب قد تحول لفظ (كبير) إلى فعال مخففة ويثقلون ليكون أشد)[1] ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : **(وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا)**[2] فقد آثر القرآن صيغة (فعّال)على (فعيل) فلم يقل : ومكروا مكرا كبيرا حتى تتوافق الفاصلة مع ما قبلها وما بعدها (خسارا، كبارا، نسرا) مع ما تدل عليه هذه الصيغة من المبالغة في مكرهم ، وهو ما يتوافق مع سياق الآيات .

وضع (فعِل) موضع (فعيل) كما جاء في قوله تعالى : **(مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ)**[3] فقد آثر القرآن النعت بـــ (فعِل) على (فعيل) حتى تتوافق الفواصل، على خلاف قوله تعالى في المدثر : (فذلك يومئذ يوم عسير) ولم يقل (عسر)؛ لأن الفواصل منتهية هناك بالراء المسبوقة بالياء ردفا لها، وهكذا يختار القرآن ما يتناسب مع الفواصل حرصا على المحافظة على التناغم الصوتي الأخاذ، وهو ما يدحض رأي من يرفضون مراعاة القرآن للفواصل والمحافظة على التنغيم الصوتي.

ومن أنماط التعويض أيضا في الفواصل **العدول عن النعت بالمشتق إلى النعت بالمصدر** كما جاء في قوله تعالى : **(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا)**[4] فقد آثر القرآن النعت بالمصدر على النعت بالمشتق فلم يقل: إنا سمعنا قرآنا عجيبا ، حتى تتوافق الفواصل (عجبا ، أحدا، ولدا) وهي كما ترى منتهية بحروف متقاربة مفتوحة الآخر، ولو نعت بالمشتق لذهبت الفاصلة . على أن النعت بالمصدر أكثر مبالغة من النعت

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة ج٢ ص ٢٧١ .

(2) نوح : ٢٢ .

(3) القمر : ٨ .

(4) الجن : ١ .

بالمشتق في هذا السياق ؛ ذلك أن القرآن لما بلغ النهاية في الحسن من حيث نظمُه وتركيبُه ودقةُ معانيه وحسن بيانه صار كأنه العجب نفسه ، وهذا أبلغ مما لوقيل : عجيبا . يقول ابن يعيش : (وقالوا رجل عدل ورضى وفضل كأنه لكثرة عدله والرضى عنه وفضله جعلوه نفس العدل والرضى والفضل)[1] ومن النعت بالمصدر بدلا من المشتق ما جاء في قوله تعالى أيضا : (**إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ**)[2] فقد عدل القرآن عن النعت بالمشتق إلى النعت بالمصدر ، وقد عمل ذلك على إحداث التوافق بين الفواصل (فصل، هزل) ولو قيل : إنه -- أي القرآن – لقول فاصل لاختلت الفاصلة ، مع ما أفاده النعت بالمصدر من المبالغة في وصف القرآن وكأنه لقوة تفريقه بين الحق والباطل صار كأنه الفصل نفسه .

وضع (فُعَال) موضع (فعيل) : وهو استعمال عربي شائع ؛ فقد تحول العرب (فعيل) إلى (فعال) كما قال عباس بن مرداس :

إنك عين حذِلتِ مُضاعــهْ تبكي على جار بني جُداعَهْ

أين دريدٌ وهو ذو براعــهْ حتــى تروه كاشفــا قناعهْ

تعدو به سلهبة سُراعهْ

أي : سريعة[3] ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : (**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**)[4] حيث آثر القرآن (عجاب) على (عجيب) لتتوافق الفواصل (شقاق، مناص، كذاب، عجاب، يراد)، مع ما أفادته صيغة

---

(1) شرح المفصل لابن يعيش ج٣ ص ٥٠ .

(2) الطارق : ١٣ .

(3) راجع مجاز القرآن لأبي عبيدة ج٢ ص ١٧٦- ١٧٧ .

(4) ص : ٥ .

عجاب من المبالغة في وصف ما جاء به النبي ﷺ من القول بالتوحيد ، أي القول بالوحدانية في غاية العجب، ذلك أن مشركي مكة أنكروا التوحيد ؛ لأنه خلاف ما ألفَوْا عليه آباءهم الذين أجمعوا على تعدد الآلهة، وواظبوا على عبادتها؛ ومن أجل هذا فالقول بالتوحيد في نظرهم عجب من العجب ، ولذا كان استعمال صيغة تدل على شدة العجب مناسبا في موضعه مع الوفاء بحق الفاصلة . ويقول أستاذي الدكتور تمام حسان : (صيغة فُعال من صيغ الأدواء مثل داء الصداع والزحار فلربما أراد القائلون الإيحاء بما جاء به النبي من الأمر بالتوحيد كان مكروها عند المشركين كراهية الداء)[1] وهو قول له وجاهته في هذا السياق .

ومن أنماط التعويض في الفواصل أيضا **وضع حرف مكان آخر** كما جاء في قوله تعالى : **(بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا)**[2] فالمشهور في الفعل (أوحى) أن يتعدى بإلى كما جاء في قوله تعالى : **(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ)**[3] وقوله تعالى : **(فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى)**[4] لكن القرآن في هذه الآية عدّى (أوحى) باللام بدلا من إلى حتى تتوافق مع الفواصل السابقة (زلزالها، أثقالها، ما لها، أوحى لها) يقول أبو حيان : (وعدى أوحى باللام لا بإلى، وإن كان المشهور تعديتها بإلى لمراعاة الفواصل. قال العجاج يصف الأرض :

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت

---

(1) البيان في روائع القرآن د . تمام حسان ج ١ ص ٤٣٣ (الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢م).

(2) الزلزلة : ٥ .

(3) من الآية ١٦٣ النساء .

(4) النجم : ١٠ .

فعداها باللام) [1] وثمة غرض دلالي وراء هذا التصرف إلى جانب توافق الفواصل يشير إليه العلامة البقاعي بقوله : (وعدل عن حرف النهاية إيذانا بالإسراع في الإيحاء فقال : (لها) أي بالإذن في التحديث المذكور بالحال أو المقال)[2] .

العدول عن الإخبار بالمفرد إلى الإخبار بشبه الجملة (الجار والمجرور) في الفاصلة

من الملامح الأسلوبية الواضحة في النص القرآني إيثار الإخبار بالجار والمجرور بدلا من المفرد تحقيقا للاتساق الإيقاعي في الفواصل ، ويكون وراء ذلك – غالبا – غرض دلالي إلى جانب الغرض الصوتي السابق، والإخبار بشبه الجملة مما يسمح به النظام النحوي ؛ إذ يمكن أن يتنوع الخبر فيأتي مفردا، ويأتي جملة ، ويأتي شبه جملة . يقول ابن مالك:

ومفردا يأتي ، ويأتي جملــةْ حاوية معنى الذي سيقت لهْ

وأخبروا بظرف أو بحرف جر ناوين معنى "كائن" أو "استقر"

ومتكلم اللغة هو الذي يختار ما يناسب المقام الذي يتحدث فيه، وقد لجأ القرآن إلى هذا التصرف الأسلوبي البديع كثيرا في نهايات الآيات ، ومن ذلك قوله تعالى : **(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)** [3] نلاحظ أن النص القرآني قد عدل عن الإخبار بالمفرد فلم يقل :

---

(1) تفسير البحر المحيط ج٨ ص ٧١٠ ، وانظر كذلك تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (المكتبة العلمية) ص ٥٧٢

(2) نظم الدرر ج٨ ص ٥٠٦ .

(3) الصافات : ١٠٢ .

ستجدني إن شاء الله صابرا إلى الإخبار بالجار والمجرور(من الصابرين) وقد تحقق بذلك فائدتان ما كانتا لتحدثا لو عبر القرآن عنهما بالمفرد، إحداهما : توافق الفواصل التي تنتهي بالنون أو الميم المردفة بالياء قبلها وبعدها، وهذا مطلب صوتي يحقق التماسك الصوتي الذي هو نمط التماسك النصي، والأخرى : أن التعبير بالجار والمجرور أشد مبالغة في الدلالة على اتصاف إسماعيل – عليه السلام– بالصبر وهو ما يفيد أنه سيكون من الذين اشتهروا بالصبر وعرفوا به، غير هلِع ولا جزِع، وهو ما يوحي بتسليمه وامتثاله المطلق لأمر الله سبحانه، وينفي أن يكون قد حُمِل على التصبر استجابة لرغبة أبيه إبراهيم عليه السلام. وبذلك تكون الفاصلة قد حققت غرضين أحدهما صوتي والآخر دلالي . وفي قوله تعالى :(**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**)[1] نلاحظ أن القرآن عدل عن الإخبار بالمفرد فلم يقل :وما أنا متكلف إلى الإخبار بالجار والمجرور، تحقيقا للاتساق بين الفواصل اللاحقة والسابقة (أجمعين، للعالمين، حين)، مع ما في التعبير بالجار والمجرور من شدة نفي التكلف عنه ﷺ، ومن ذلك قوله تعالى أيضا :(**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ. أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ**)[2] ففي نهاية كل آية من الآيات السابقة نلاحظ إيثار استخدام الجار والمجرور على المفرد؛ فبدلا من أن يقول : (ساخرا،متقيا، محسنا، كافرا) نرى النص القرآني يؤثر الإخبار بالجار والمجرور لتحقيق الاتساق الصوتي،كما أن الإخبار بالجار والمجرور أدلّ على الاتصاف بالسخرية

---

(1) ص : ٨٦ .

(2) الزمر : ٥٦ – ٥٩ .

والتقوى والإحسان والكفر من الإخبار بالمفرد .وفي قوله تعالى: (أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ)[1] نجد أن الإخبار بالجار والمجرور (في غرور) عمل على تحقيق التوافق في الفواصل (نكير، بصير، نفور)، وإلى جانب ذلك فقد أفاد استخدام هذا التركيب وإيثاره على غيره أن الكافرين مستغرقون في الغرور حتى كأنهم يعيشون فيه ويحيون به ، فهو محيط ومتلبس بهم، وهو ما يفهم من استخدام (في) الظرفية مما يوحي بشدة تلبسهم بالغرور فهو ملاصق لهم .وهكذا لومضينا نتتبع هذا التصرف الأسلوبي في الفواصل القرآنية لوجدنا الكثير من الأسرار التي تقبع خلفه إلى جانب تحقيق الاتساق الإيقاعي ، وهو يعد ملمحا أسلوبيا لم يشر إليه أحد ممن تناول درس الفاصلة في حد علمي .

إيثار استخدام الفعل المضارع بدلا من المصدر أو الفعل الماضي :

من الوسائل اللغوية التي لجأ إليها النص القرآني لتحقيق توافق الفواصل ، وأغراض دلالية أخرى إيثاره الفعل المضارع على المصدر ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ)[2] فقد قابل القرآن بين المصدر والفعل المضارع في قوله : (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) بدلا من (فما استطاعوا مضيا ولا رجوعا) فآثر الفعل المضارع على المصدر لتحقيق الاتساق في الفواصل (يبصرون، يرجعون، تعقلون) ؛ ولذلك يقول البيضاوي تعليقا على هذه الآية : (فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل)[3] مع ملاحظة حذف متعلق الفعل ، والتقدير : ولا يرجعون إلى أهليهم أولا يرجعون

---

(1) الملك : ٢٠ .

(2) يس : ٦٧ .

(3) تفسير البيضاوي ج٢ ص ٢٨٦ .

عن تكذيبهم ، وكل ذلك لمراعاة الفواصل ، مع ما في التعبير بالمضارع من إفادة تجدد عدم رجوعهم إلى حالتهم التي كانوا عليها قبل المسخ ، وهو مالا يفيده التعبير بالمصدر .ومن ذلك قوله تعالى : **(وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)**[1] كان مقتضى النظم أن يقال : ونجينا الذين آمنوا واتقوا ، لكن القرآن آثر استخدام الفعل المضارع بدلا من الماضي لإحداث التوافق في الفواصل (يكسبون، يتقون ، يوزعون) كما أن صيغة المضارع قد دلت على أن التقوى متكررة منهم متجددة فهي متأصلة فيهم يدل على هذا التأصل قوله (وكانوا) وبذلك حققت الفاصلة الغرضين الصوتي والدلالي معا، وقد يؤثر القرآن المصدر المؤول على الصريح كما جاء في قوله تعالى : **(فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)**[2] فقد آثر القرآن التعبير بالمصدر المؤول من أن واسمها وخبرها فقال: (مثل ما أنكم تنطقون) دون أن يقال : نطقكم لتتوافق الفواصل السابقة واللاحقة، ولما في المضارع من الدلالة على تجدد النطق وتكرره، وهو مالا يقوم به الاسم الذي يدل على الثبات والتمكن دون التجدد والتكرر، فهو نطق متجدد في كل وقت .

ومن الوسائل اللغوية التي يلجأ إليها النص القرآني للرعاية على الفاصلة ولدواع تركيبية ودلالية تستفاد من السياق **إقامة الظاهر مقام المضمر** ، وقد أجاز النحاة هذا التصرف الأسلوبي ، وفي ذلك يقول الرضي : (وأما وضع الظاهر مقام الضمير، فإن كان في معرض التفخيم جاز قياسا كقوله تعالى : **(الحاقة ما الحاقة)** أي : ما هي ، وإن لم يكن فعند سيبويه يجوز في الشعر بشرط أن يكون بلفظ الأول، قال :

لعمرك ما معن بتارك حقِّه ولا منسئ معن ولا متيسر

---

(1) فصلت : الآية ١٨ .

(2) الذاريات : ٢٣ .

بجر منسئ ، فإذا رفعته فهو خبر مقدم على المبتدأ ، وقال :

لا أرى الموت يسبق الموت شيْءٌ نغّص الموت ذا الغنى والفقيرا

وقال الأخفش : يجوز وإن لم يكن بلفظ الأول ، في الشعر كان أو في غيره ، قال :

إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت حبال الهوينا بالفتى أن تقطعا

وليس في هذا خبر المبتدأ ، قال : ويجوز : زيد قام أبو طاهر ، إذا كان زيد يكنى بأبي طاهر ، قال الله تعالى : " **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا** "[1] ومن أمثلة وضع الظاهر موضع ضميره في نهاية الآيات ما جاء في قوله تعالى : (**ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**)[2] فقد أعاد القرآن ذكر (المتكبرين) ظاهرا، ولم يستغن بالضمير عنه مع أنهم هم المخاطبون في الآية ، وتقدم ذكرهم في قوله : (**ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ**)[3] والسبب في ذلك هو المحافظة على الفاصلة ؛ إذ لو قيل : (فبئس مثواهم) لما صلحت الفاصلة المنتهية بالنون المسبوقة بالواو أو الياء ردفا لها . على أن ثمة غرضا دلاليا وراء هذا الإظهار ، وهو أن سياق الآية التهديد والتخويف وتعظيم الأمر بسبب تكذيب هؤلاء بالكتاب وبما أرسل به الرسل ، ثم بسبب إشراكهم مع الله آلهة أخرى، وفي ظاهر لفظ المتكبرين ما يشير إلى أن استحقاقهم العذاب كان بسبب تكبرهم عن قَبول الحق والانقياد للرسل المنذرين، وهو ما ليس في

---

(1) شرح الرضي على الكافية ج١ ص ٢٤١ – ٢٤٢ ، وانظر كذلك البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع ج١ ص ٥٦١ – ٥٦٥ (دار الغرب الإسلامي- ط١ ١٩٨٦م)

(2) غافر : ٧٦ .

(3) غافر : ٧٥ .

الضمير. ومن ذلك قوله تعالى : (سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)[1] فقد عدل القرآن عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله: (وخسر هنالك الكافرون) فلم يقل : وخسروا هنالك مع تقدم ذكرهم في قوله تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)[2] وقد أدى وضع الظاهر موضع ضميره في الآية الكريمة إلى أن تتوافق الفواصل السابقة واللاحقة، كما أشار إلى أن سبب خسرانهم كان هو الكفران بالله، وهو مالا يتحقق بالضمير.ومن ذلك قوله تعالى : (فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ)[3] فقد أظهر القرآن لفظ (أصحاب الميمنة) و(أصحاب المشأمة) بعد ما الاستفهامية التي أفادت التعجب، ولم يأت بضميره فلم يقل : وأصحاب الميمنة ما أصحابها ، وأصحاب المشأمة ما أصحابها ، بل آثر الإظهار حرصا على توافق الفواصل ، كما أفاد هذا التصرف معنى التعجب من حال الفريقين، والأمر كذلك في قوله تعالى : (كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ)[4] وهذا الأسلوب – أعني تكرير المبتدأ بلفظه – مما يكثر دورانه في القرآن الكريم لإفادة معنى التهويل والتعظيم ، وتحقيق الاتساق في الفواصل . يقول ابن هشام وهو بصدد الحديث عن روابط الجملة بما هي خبرعنه : (الثالث : إعادة المبتدأ بلفظه، وأكثر وقوع ذلك في مقام التهويل والتفخيم، نحو الحاقة ما الحاقة...)[5] وسياق كلام ابن هشام يدل على أن الإظهار في موضع الإضمار، أو تكرير المبتدأ بإعادة

---

(1) غافر : من الآية ٨٥ .

(2) غافر : ٨٢ .

(3) الواقعة : ٨ ، ٩ .

(4) الهمزة : ٤، ٥ .

(5) مغني اللبيب لابن هشام ج٢ ص ٥٧٥ (المكتبة العصرية – بيروت)

لفظه وسيلة من وسائل الربط التي تسهم في تحقيق التماسك النصي ، وبذلك يكون قد أدى وضع المظهر موضع ضميره ثلاث وظائف في موقعه : صوتية ودلالية وتركيبية .

ومن أنماط التعويض أيضا **إحلال (أل) أداة التعريف محل الضمير** ، فذلك من الوسائل اللغوية التي يلجأ إليها النص القرآني للرعاية على الفاصلة ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : **(هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ . جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ)**[1] نلاحظ أن (أل) في (الأبواب) قد حلت محل الضمير، والتقدير: مفتحة لهم أبوابها ، وقد عمل ذلك على توافق الفواصل قبلها وبعدها (مآب، الأبواب، شراب) وإلى جانب هذا الغرض الإيقاعي الصوتي ثمة غرض تركيبي آخر، وهو أن (أل) التي هي أداة التعريف قد ربطت بين مكونات الجملة بدلا من الضمير ؛ فمفتحة حال أو نعت لجنات عدن ، وربطت (أل) بين الحال وصاحبها أو بين النعت ومنعوته بدلا من الضمير فكأنه قال : جنات عدن مفتحة لهم أبوابها . يقول الفراء تعليقا على هذه الآية : (ترفع الأبواب)؛ لأن المعنى : مفتحة لهم أبوابها . والعرب تجعل الألف واللام خلفا من الإضافة فيقولون : حسنة عينه قبيح أنفه)[2] ومن ذلك قوله تعالى : **(وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ. أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ)**[3] فقد عاقبت (أل) أداة التعريف الضمير ، فكأنه قال : أم زاغت عنهم أبصارنا، وبهذا التصرف توافقت الفواصل المنتهية بالراء المسبوقة

---

(1) ص : ٤٩ ، ٥٠ .

(2) معاني القرآن للفراء ج٢ ص ٤٠٨ ، وانظر كذلك مقالات في اللغة والأدب للدكتور تمام حسان ج١ ص ٢٠٢ حيث عدّ (أل) من وسائل الربط بين أجزاء الجملة (معهد اللغة العربية – جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٩٨٥م)

(3) ص : ٦٢، ٦٣ .

بالألف ، إلى جانب ما قامت به أداة التعريف من الربط بين مكونات الجملة عوضا عن الضمير ، وهي وظيفة تركيبية كما ترى . ومن ذلك قوله تعالى : **(فَأَمَّا مَنْ طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى. وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)**[1] فقد سدت الألف واللام في كلمة (المأوى) مسد الضمير، وقد أدى هذا التصرف وظيفتين في موقعه وظيفة إيقاعية صوتية وهي تناسب الفواصل، ووظيفة تركيبية وهي الربط بين مكونات الجملة في الآيتين ، والتقدير : فإن الجحيم هي مأواه لا يأوي إلا إليها، وإن الجنة هي مأواه لا يأوي إلى غيرها، مع ملاحظة تعادل الجملتين تركيبيا، يقول الزجاج : (ومعنى المأوى أي هي المأوى له، وقال قوم : الألف واللام بدل من الهاء، وهذا كما تقول للإنسان : غُضَّ الطرف يا هذا . فلابس الألف واللام بدلا من الكاف)[2] .

* *

(1) النازعات : الآيات من ٣٧ – ٤١ .

(2) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٥ ص ٢٨١ .

المبحث الرابع

الحمل على المعنى

ومن الوسائل اللغوية التي يلجأ إليها الأسلوب القرآني للرعاية على الفاصلة **وضع المفرد موضع الجمع الذي هو نمط الحمل على المعنى** وهو تصرف للعرب معروف؛ ولذلك يقول أبو عبيدة : (العرب قد تجعل الجميع على لفظ الواحد قال :

إن العواذل ليس لي بأمير)[1] ، وقد جعل ابن جني ذلك من الحمل على المعنى في محاولة لربط التراكيب بعمقها ، وتصحيح اللفظ المنطوق ليطابق المعنى المراد، قال : (اعلم أن هذا الشرج غور من العربية بعيد ، ومذهب نازح فسيح. وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورا ومنظوما ؛ كتأنيث المذكر ، وتذكير المؤنث ، وتصور معنى الواحد في الجماعة ، والجماعة في الواحد ... كقولهم هو أحسن الفتيان وأجمله ، أفرد الضمير ؛ لأن هذا موضع يكثر فيه الواحد ؛ كقولك هو أحسن فتى في الناس؛ قال ذو الرمة :

ومية أحسن الثقلين جيدا وسالفة وأحسنه قذالا

فأفرد الضمير ، مع قدرته على جمعه. وهذا يدلك على قوة اعتقادهم أحوال المواضع وكيف ما يقع فيها ؛ ألا ترى أن الموضع موضع جمع ، وقد تقدم في الأول لفظ الجمع فترك اللفظ وموجب الموضع إلى الإفراد ؛ لأنه مما يؤلف في هذا المكان)[2] وعلى كل حال فقد وقعت هذه الظاهرة في القرآن في رؤوس الآي وفي غيرها، ومن وقوعها في رؤوس الآي ما جاء في قوله تعالى: **(إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ**

---

(1) مجاز القرآن لأبي عبيدة ج٢ ص ٢٦١ .

(2) راجع الخصائص لابن جني ج٢ ص ٤١١- ٤٣٥ .

مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ)[1] فوضع ظهير موضع ظهراء رعيا على الفاصلة ، ولغرض دلالي آخر أشار إليه الزمخشري بقوله : (والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه، فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه)[2] ومن وضع المفرد موضع الجمع أو الاكتفاء باسم الجنس ما جاء في قوله تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ)[3] فقد وضع القرآن المفرد (منتصر) موضع الجمع ، مع أن المنعوت جمع بالمعنى المعجمي ؛ لأن معناه متعدد ، لكنه راعى اللفظ دون المعنى فلم يقل : نحن جميع منتصرون حتى تتوافق الفواصل المنتهية بالراء. قال أبو جعفر النحاس : (على اللفظ ولو كان على المعنى قيل : منتصرون)[4] ونحن نلحظ وراء وضع المفرد موضع الجمع في هذا السياق غرضا دلاليا يضاف إلى الغرض الصوتي السابق وهو أن كفار قريش كأنهم على قلب رجل واحد في العداء لمحمد ﷺ وأصحابه ، فكان من المناسب أن ينعت الجميع بالمفرد . والأمر كذلك في الآية التالية (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ)[5] فقد أفرد الدبر، والمراد الجمع كما قال في موضع آخر : (يولوكم الأدبار) للرعاية على الفاصلة، (وكل من إفراد الدبر والمنتصر وجمع المولين أبلغ مما لو وضع غيره موضعه وأقطع للتعنت)[6] ومن ذلك ما جاء

---

(1) التحريم : ٤ .

(2) الكشاف ج٤ ص ١٢٧ .

(3) القمر : ٤٤ .

(4) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ص ١٠٧٠ .

(5) القمر : ٤٥ .

(6) نظم الدرر ج٧ ص ٣٦٦ .

في قوله تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ)[1] فقد وضع (نهر) موضع (أنهار) مكتفيا باسم الجنس لتتناسق الفواصل على صورة واحدة ، وإلى جانب هذا الغرض الصوتي الذي حققه وضع الجمع موضع المفرد هناك غرض دلالي وراء ذلك ، وهو أن أنهار الجنة لكثرتها وعظمها ، وقرب بعضها من بعض واتصالها كأنها نهر واحد ، يقول العلامة البقاعي : (ولما كانت الجنان لا تقوم ولا تدوم إلا بالماء قال : " ونهر " وأفرده؛ لأن التعبير بـــ " في " مفهم لعمومهم به عموم ما كأنه ظرف وهم مظرفون له ، ولكثرة الأنهار وعظمها حتى أنها لقرب بعضها من بعض واتصال منابعها وتهيئ جميع الأرض لجري الأنهار منها كأنها شيء واحد ، .... ولمثل تلك الأغراض أفرد مع إرادة الجنس لا للفاصلة فقط)[2] .

ومن الحمل على المعنى أيضا **وضع الجمع موضع المفرد** فكما يلجأ النص القرآني لوضع المفرد موضع الجمع ، يلجأ إلى وضع الجمع موضع المفرد لتتشاكل رؤوس الآيات مع ما يستفاد من أغراض دلالية كما جاء في قوله تعالى : (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)[3] فقد وضع الجمع (علق) موضع المفرد (علقة)، وإنما خلق الإنسان من علقة كما قال الله تعالى : (من نطفة ثم من علقة)، ومسوغ هذا التصرف الأسلوبي هو الرعاية على الفاصلة المنتهية بالقاف، ولو قيل : من علقة لذهبت الفاصلة، بالإضافة إلى أن الإنسان – هنا – في معنى الجميع ؛ ولذلك يقول الزمخشري : (فإن قلت : لم قال (من علق) على الجمع وإنما خلق من علقة كقوله: (من نطفة ثم من علقة) قلت : لأن

---

(1) القمر ٥٤ .

(2) نظم الدرر ج٧ ص٣٦٩ .

(3) العلق : ٢ .

الإنسان في معنى الجمع كقوله : "إن الإنسان لفي خسر")[1] ومن وضع الجمع موضع المفرد أيضا ما جاء في قوله تعالى: **(فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)**[2] فقد أخبر عن (أحد) وهو مفرد بـــ (حاجزين) وهو جمع ، وكانت المطابقة النحوية تقتضي أن يقال : فما منكم من أحد عنه حاجزا، إلا أن المعنى المعجمي لكلمة (أحد) هو الذي سوغ الإخبار بالجمع عن المفرد ؛ لأن أحدا مفرد في اللفظ جمع في المعنى، والمعنى : فما منكم قوم يحجزون عنه ﷻ. قال الفراء : (أحد يكون للجميع وللواحد، وذكر الأعمش في حديث عن النبي ﷺأنه قال : (لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس إلا لنبيكم ﷺ)، فجعل أحدا في موضع جمع . وقال الله جل وعز: " لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ" فهذا جمع ؛لأن بين – لا يقع إلا على اثنين فما زاد) [3] والمهم أن القرآن أخبر بالجمع عن المفرد لتتوافق الفواصل (اليمين ، الوتين، حاجزين ، للمتقين) مع وجود مسوغ هذا التصرف وهو المعنى المعجمي للمبتدأ ، والمعنى المعجمي له دور معتبر في التحليل النحوي ، وفي علة اختيار الإخبار بالجمع يقول البقاعي : (واختار الإخبار بالجمع ؛ لأنه يدل على عدم حجز الفرد من باب الأولى)[4] .

وضع الجمع موضع المثنى :

وكما يضع القرآن الجمع موضع المفرد للرعاية على الفاصلة ، يضع كذلك الجمع موضع المثنى للغرض نفسه ، ومن ذلك قوله تعالى : **(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)**[5] فعلى الرغم

( ) الكشاف ج٤ ص ٢٧٠ .

( ) الحاقة : ٤٧ .

( ) معاني القرآن للفراء ج٣ ص ١٨٣.

( ) نظم الدرر ج٨ ص ١٤١ .

( ) يس : ٤٠ .

من أن المتقدم ذكره اثنان هما : الشمس والقمر ، إلا أن القرآن أتى بضمير (يسبحون) جمعا رعاية على الفاصلة المنتهية بالنون المسبوقة بالواو أو الياء ردفا لها (يسبحون، المشحون، يركبون) ولو قيل : يسبحان لذهب التنغيم الصوتي، أضف إلى ذلك أن المجيء بضمير (يسبحون) جمعا يفيد تعميم الحكم ليشمل الشمس والقمر وجميع الكواكب، مع حمل (يسبحون) على من يعقل، مع أنها تجري في الآية على ما لا يعقل، فلم يقل : يسبح – مثلا–، ومسوغ ذلك هو الرعاية على الفاصلة، ووصفها بالجريان والسباحة والإدراك والسبق مما سوغ جريانها على من يعقل كما يقول العكبري [1] ومن ذلك قوله تعالى أيضا: **(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)**[2] فقد جاء قوله (طائعين) بصيغة جمع المذكر ، مع أن المتقدم ذكره شيئان هما السماء والأرض، ومسوغ ذلك أن السماء جمع بالمعنى المعجمي؛ لأنها تشتمل على سبع سماوات، كما أن في هذا التصرف رعاية على الفاصلة ، وفيه أيضا إجراء غير العاقل مجرى العقلاء؛ لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء ، وخوطبت بقوله : (ائتيا) أجرى عليهن حكمهم كأنها عاقلات فقال : (طائعين) ولم يقل (طائعات) رعاية على الفاصلة . يقول الزمخشري تعليقا على هذه الآية : (فإن قلت : هلا قيل: طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى ؛ لأنها سموات وأرضون ؟ قلت : لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله " ساجدين " [3].

---

(1) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ج٢ ص ٣٤٢ ، وانظركتاب التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ج٣ ص ٢٦ ٠ دار الكتاب العربي – بيروت ط٢ ١٩٧٣م)

(2) فصلت : ١١ .

(3) الكشاف : ج٣ ص ٤٤٦ .

ومن ذلك أيضا **وضع جمع الذكور موضع جمع الإناث** كما جاء في قوله تعالى : (**وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**)[1] فقد آثر القرآن جمع الذكور (القانتين) فلم يقل: وكانت من القانتات لتتوافق الفواصل (الداخلين، الظالمين، القانتين) ولو قيل : القانتات لذهبت الفاصلة ، على أن ثمة غرضا دلاليا يوحي به استعمال جمع الذكور في هذا الموضع فهو يشعر بأن طاعة مريم – عليها السلام – لم تقصر طاعتها عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدّت من جملتهم ، أو من نسلهم كما يقول العلامة البيضاوي في تفسيره[2] ومن الحمل على المعنى أيضا **الإخبار بالمذكر عن المؤنث** ، ومن ذلك قوله تعالى : (**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**)[3] حيث ذكّر القرآن الخبر مع أن اسم لعل مؤنث فلم يقل : لعل الساعة قريبة ؛ نظرا لاعتبار معنى (الساعة) المعجمي وهو البعث، أو على حذف مضاف مذكّر أي لعل إتيان الساعة قريب، يقول الزمخشري : ("الساعة" في تأويل البعث؛ فلذلك قيل (قريب) أو لعل مجئ الساعة قريب)[4] والمهم أن القرآن فعل ذلك حتى تتوافق الفواصل السابقة واللاحقة (شديد، قريب، بعيد) وهي فواصل متقاربة كما ترى، ولو قيل: قريبة، لذهبت الفاصلة، وهناك غرض دلالي وراء وضع المذكر موضع المؤنث أشار إليه الإمام البقاعي بقوله: (ولما كان تأنيث الساعة غير حقيقي لأنها بمعنى الوقت ، ذكّرها فقال : " قريب " فأفهم ذلك أنها ذات شدائد وأن شدائدها ذكور الشدائد وأن قربها أسرع من لمع البرق لما له من

---

(1) التحريم : ١٢ .

(2) راجع تفسير البيضاوي ج٢ ص ٥٠٧ – ٥٠٨ .

(3) الشورى : ١٧ .

(4) الكشاف ج٣ ص ٤٦٥ .

الثبات في الحق)[1]، ومن ذلك أيضا ما جاء في قوله تعالى : (**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**)[2] فقد أضاف (الضحى) وهو مذكّر إلى ضمير (العشية) وهي مؤنث فلم يقل: إلا عشية أو ضحًى جريا على استعمال شائع في كلام العرب؛ ولذلك يقول الفراء في تعليقه على هذه الآية : (وهل للعشى ضحى؟ إنما الضحى لصدر النهار، فهذا بيّن ظاهر من كلام العرب أن يقولوا : آتيك العشية أو غداتها، وآتيك الغداة أو عشيتها، تكون العشية في معنى: آخِر، والغداة في معنى: أول، أنشدني بعض بني عقيل :

نحن صبحنا عامرا في دارها عشية الهلال أو سَرارها

أراد عشية الهلال أو عشية سَرار العشية، فهذا أسدّ من آتيك الغداة أو عشيتها)[3] وقد لجأ القرآن إلى هذا التصرف الأسلوبي لتتناسق الفواصل المنتهية بالهاء المفتوحة، ولو قال : عشية أو ضحى لذهبت الفاصلة، كما أن ثمة غرضا دلاليا وراء ذلك يشير إليه العلامة الزمخشري بقوله : (فإن قلت : كيف صحت إضافة الضحى إلى العشية؟ قلت : لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد، فإن قلت: فهلا قيل :إلا عشية أو ضحى، وما فائدة الإضافة ؟ قلت : للدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا ، ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه ، فلما ترك اليوم أضافه إلى عشيته فهو كقوله: (**لم يلبثوا إلا ساعة من نهار**)[4] وقد يراعي القرآن اللفظ لكلمة معينة حتى يتسق النظم وتتوافق الفواصل، وقد يراعى المعنى للكلمة نفسها للغرض نفسه، ومن

---

(1) نظم الدرر ج٦ ص ٦١٧ .

(2) النازعات : ٤٦ .

(3) معاني القرآن للفراء ج٣ ص ٢٣٤- ٢٣٥ .

(4) الكشاف : ج٤ ص ٢١٧ .

ذلك ما جاء في قوله تعالى : (تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ)[1] نلاحظ أن القرآن ذكّر النعت لكلمة نخل، وهو كلمة (منقعر) حملا للمنعوت على اللفظ حتى تتوافق الفواصل المنتهية بالراء في السورة كلها، ولو أنّث حملا على المعنى فقال : منقعرة لذهبت الفاصلة ، بخلاف ما جاء في قوله تعالى : (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)[2] فقد أنّث نعت الكلمة نفسها حملا على المعنى حتى تتوافق الفواصل المنتهية بالتاء المربوطة، ولو حمل على اللفظ فذكّر النعت بأن قال خاوٍ لذهبت الفاصلة، وهذا من أكبر الأدلة على اهتمام القرآن بالفواصل وحرصه على التنغيم الصوتي، هذا ويقدم الإمام البقاعي تبريرا دلاليا لا يخلو من روعة في الحالتين بقوله : (ولما كان الحكم هنا على ظاهر حالهم ، وكان الظاهر دون الباطن، حمل على اللفظ قوله : (منقعر) أي منقصف أي منصرع من أسفل قعره وأصل مغرسه ، والتشبيه يشير إلى أنهم طوال قد قطعت رؤوسهم، وفي (الحاقة) وقع التشبيه في الباطن الذي فيه الأعضاء الرئيسة، والمعاني اللطيفة ، فأنث الوصف حملا على معنى النخل)[3] .

ومن الوسائل اللغوية للرعاية على الفاصلة أيضا **إضافة الصفة إلى الموصوف** كما جاء في قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ)[4] حيث أضاف القرآن الصفة (الحق) إلى الموصوف (اليقين) فلم يقل : إن هذا لهو اليقين الحق حتى تتوافق الفواصل السابقة واللاحقة (حميم ، جحيم ، اليقين ، العظيم) وإلى جانب ذلك تشير إضافة الصفة إلى الموصوف إلى تأكيد هذا اليقين أي أن ما تضمنته هذه السورة من أحوال الخلق في الآخرة، أو أن هذا القرآن لهو

---

(1) القمر : ٢٠ .

(2) الحاقة : من الآية ٧ .

(3) نظم الدرر ج٧ ص ٣٥٧ .

(4) الواقعة : ٩٥ .

اليقين الحق المؤكد الذي لا ريب فيه ، وقيل هو من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة كما تقول : هذا يقين اليقين، وصواب الصواب بمعنى أنها نهاية في ذلك، فهما بمعنى واحد، أضيف على سبيل المبالغة[1] وأيا ما كان الأمر فقد توافقت الفواصل، وتحقق التنغيم الصوتي الذي يحرص القرآن عليه. والأمر كذلك في قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ)[2] .

ومن الوسائل اللغوية التي لجأ إليها القرآن للرعاية على الفاصلة **إجراء غير العاقل مجرى العاقل** وهو نوع من التعويض أو الإحلال أيضا فهو بسبيل مما نحن فيه ، وهو أسلوب شائع في القرآن الكريم جريا على لغة العرب ، وفي ذلك يقول الزمخشري : (وهذا كثير شائع في كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من أحكامه إظهارا لأثر الملابسة والمقاربة)[3] ومن ذلك قوله تعالى : (إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)[4] فقد أجرى (ساجدين) مجرى العقلاء فلم يقل : ساجدات لتتوافق الفواصل (المبين، تعقلون، الغافلين، ساجدين، مبين)؛ (لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة [5] وفي قوله تعالى : (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ)[6] أجرى القرآن حكم العقلاء على غير العقلاء، فلم يقل آلهة تعبد، حتى تتوافق الفواصل (تسألون، يعبدون، العالمين، يضحكون)

---

(1) راجع البحر المحيط ج٨ ص ٣٠٥ .

(2) الحاقة : ٥١ .

(3) الكشاف ج٢ ص ٣٠٢- ٣٠٣ .

(4) يوسف : من الآية ٤ .

(5) الكشاف ج ٢ ص ٣٠٣ .

(6) الزخرف : ٤٥ .

قال الفراء في تعليقه على هذه الآية : (قال يعبدون للآلهة ، ولم يقل : تعبد ولا يُعْبَدْنَ؛ وذلك أن الآلهة تكلم ويدعى لها وتعظم ، فأجريت مجرى الملوك والأمراء وما أشبههم)[1] والأمر كذلك في قوله تعالى : **(لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)**[2] وقوله تعالى : **(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)**[3] .

* *

(1) معاني القرآن للفراء ج٣ ص٣٤ .

(2) يس: ٤٠ .

(3) فصلت : ١١ .

خاتمة :

حاولت في هذا البحث دراسة بعض الوسائل اللغوية التي يستعين بها النص القرآني للرعاية على الفاصلة، ومحاولة استنتاج بعض الأغراض الدلالية التي تستفاد من استخدام هذه الوسائل معتمدا في ذلك على كتب التفسير انطلاقا من الإيمان بأن بين علوم التفسير وعلم النحو اشتراكا متبادلا وحيا وفعالا ، وقد نفذ المفسرون إلى قلب دلالة التراكيب القرآنية ، ولهم لمحات دلالية تضع أيدينا على مواطن الجمال في النص القرآني ، وقد لوحظ أن تلك الوسائل تحقق التوافق الصوتي ويكون وراءها غالبا أغراض دلالية تستفاد من السياق الذي ترد فيه؛ فهي تنهض بوظيفتين إحداهما أسلوبية وأخرى دلالية .

وقد انتهى البحث فيما انتهى إليه إلى أن فواصل القرآن تحتاج إلى تكثيف الجهد لدراستها وبيان أسرارها فما تزال تنطوي – وستظل – على كثير من أسرار إعجاز القرآن على الرغم من كثرة الدراسات التي قدمت في هذا المجال. وفي نهاية البحث أخلص إلى أن تتوجه أنظار الباحثين إلى النصوص الأدبية لدراستها والكشف عن أسرارها وخاصة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم الذي تفرد في تراكيبه وأسلوبه وصياغته وأغراضه عن أنواع الفنون الكلامية الأخرى كالشعر والخطابة والسجع؛ فهو طراز فريد من النظم ونسيج وحده، وهو مستوى من الكلام ينبغي أن يدرس على أنه مستوى خاص لا يقرن بغيره من ألوان الكلام الأخرى.

* *

ثبت المصادر والمراجع

ابن أبي الربيع ،عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشي الأشبيلي السبتي

- البسيط في شرح جمل الزجاجي(تحقيق د. عياد بن عيد الثبيتي – دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٩٨٦م).

ابن جني ، أبو الفتح عثمان

- الخصائص (تحقيق محمد علي النجار– مطبعة الكتب المصرية ١٩٥٢م).

ابن خالويه ،أبي عبد الله الحسين بن أحمد

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم (دار الكتب العلمية . بيروت).

ابن عاشور، سماحة الشيخ محمد الطاهر

- تفسير التحرير والتنوير (دار سحنون– تونس).

ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري، بهاء الدين عبد الله بن على

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت ١٩٩٨م).

ابن قتيبة الدينوري ،أبي محمد عبد الله بن مسلم

- تأويل مشكل القرآن (تحقيق السيد أحمد صقر – المكتبة العلمية).

ابن هشام ،أبو محمد بن عبد الله بن يوسف بن أحمد

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (تحقيق محمد محيي عبد الحميد – المكتبة العصرية – بيروت).

ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي .

- شرح المفصل (عالم الكتب – بيروت).

أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف

- تفسير البحر المحيط (تحقيق: د . عبد الرزاق المهدي – دار إحياء التراث العربي. بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٣م) .

• **أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التيمي**

– مجاز القرآن (تحقيق د . محمد فؤاد سركين – مكتبة الخانجي – القاهرة).

• **أبو موسى ، د. محمد محمد**

– خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني (مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الخامسة ٢٠٠٠م).

– دراسة بلاغية لسورة الأحزاب (الطبعة الثانية – بدون بيانات)

• **الألوسي البغدادي، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود**

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(تحقيق علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٤م).

• **البقاعي ، الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر**

– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي– دار الكتب العلمية– بيروت ــ الطبعة الثالثة ٢٠٠٦ م).

• **البيضاوي ،القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي**

– تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل (دار الكتب العلمية– بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٨م).

• **الجرجاني ، عبد القاهر**

– دلائل الإعجاز(تحقيق محمود محمد شاكر(مهرجان القراءة للجميع٢٠٠٠م).

• **حسان ، د. تمام**

– البيان في روائع القرآن الجزء الأول (الهيئة المصرية العامة للكتاب– مهرجان القراءة للجميع – مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م).

– مقالات في اللغة والأدب الجزء الأول (معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى– مكة المكرمة ١٩٨٥م) .

- **الحسناوي ، محمد**

- الفاصلة في القرآن (دار عمّار – الأردن – الطبعة الثانية ٢٠٠٠م).

- **الرافعي ، مصطفى صادق**

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (دار الكتاب العربي – بيروت ٢٠٠٥م).

- **الرضي ، رضي الدين محمد بن الحسن .**

- شرح الكافية في النحو (تحقيق يوسف حسن عمر).

- **الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني**

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي (تحقيق محمد خلف الله أحمد، والدكتور محمد زغلول سلام – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثالثة).

- **الزجاج ،أبوإسحاق إبراهيم بن السَّري**

- معاني القرآن وإعرابه (تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي – دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٤م).

- **الزركشي ،الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله**

- البرهان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – المكتبة العصرية – بيروت ٢٠٠٦م).

- **الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر**

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (دار الفكر– بيروت الطبعة الأولى).

- **السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن**

- الإتقان في علوم القرآن (دارالمعرفة – بيروت) .

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها (تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم – دارالجيل بيروت) .

- **عبد الرحمن ، د. عائشة**

– التفسير البياني للقرآن الكريم (دار المعارف – الطبعة السابعة).

- **العكبري، أبوالبقاء بن الحسين**

– التبيان في إعراب القرآن (دارالفكر– بيروت –الطبعة الأولى١٩٩٧م).

- **الفراء ،أبو زكريا يحيى بن زياد**

– معاني القرآن (تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، مراجعة الأستاذ : علي النجدي ناصف – دار السرور).

- **قطب ، سيد**

– في ظلال القرآن (دار الشروق القاهرة– الطبعة الثالثة عشرة ١٩٨٧م.

- **الكلبي ، محمد بن أحمد بن جزي**

– كتاب التسهيل لعلوم التنزيل (دار الكتاب العربي– بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٣م).

- **النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل**

– إعراب القرآن (تحقيق خالد العلي دار المعرفة – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م).

- **النسفي، الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود**

– تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي – دار المعرفة – بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٨ م).

* * *